سلسلة الدراسات القرآنية 2

السِّياسَاتُ الاسْتِكبارِيَّةُ في القرآنِ الكَريم

دِراسةٌ تطبيقيّةٌ مُعاصِرةٌ

زينة الجمّال

مَركزُ بَراثا للدِّراساتِ والبُحوثِ
Baratha Center for Studies and Research

السِّياسَاتُ الاستكباريَّةُ في القرآنِ الكريم
دِراسةٌ تطبيقيّةٌ مُعاصِرةٌ

-زينة الجمّال-

وَيُثَبِّتْ
إِن أَقْدَامَكُمْ
تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ
صدق الله العظيم

سلسلة الدراسات القرآنية 2

السِّياسَاتُ الاستكباريَّةُ في القرآنِ الكريم
دِراسةٌ تطبيقيّةٌ مُعاصِرةٌ

زينة الجمّال

مركز براثا للدراسات والبحوث
بيروت - بغداد

◆ رقم الطبعة: الأولى
◆ تاريخ الطبعة: 2024 م- 1445هـ
◆ عدد الصفحات: 138 صفحة
◆ مكان الطبعة: بيروت - بغداد

© جميع الحقوق محفوظة للمركز

الفهرس

تمهيد 11

الفصل الأول 17
الحقولُ الدلاليَّةُ للاستكبار والمفرداتُ المرتبطة بها

المبحث الأول
18 | **الاستكبارُ والاستضعافُ**

أوّلًا: ما الاستكبار؟ 19
ثانيًا: الترابط بين الاستكبار والتكذيب والاستحقار 19
ثالثًا: بين الضعف والاستضعاف في القرآن الكريم 22

المبحث الثاني
25 | **العلوّ والعُتوُّ**

أوّلًا: ما هو العلوّ والاستعلاء؟ 25
ثانيًا: العلوّ وادّعاء الربوبيّة وارتباطها بسياسات التمزيق والإجرام 27
ثالثًا: العتوّ 28

المبحث الثالث
31 | **الطغيانُ والبغيُ**

أوّلًا: ما هو الطغيان؟ 31

ثانيًا: الطاغوت في القرآن الكريم 32
رابعًا: الربوبيّة التشريعيّة في التقنين والحكم 33
ثالثًا: احذروا الطاغوت الأكبر في عصرنا الحاضر: أمريكا والغرب 35
خامسًا: ما هو البغي؟ 36

المبحث الرابع
الفسادُ والإهلاك 39

أوّلاً: الفساد تحت شعار الإصلاح 39
ثانيًا: آثار الفساد 40

المبحث الخامس
الظلمُ والإجرامُ والمكْرُ 43

أوّلاً: الظلم 43
ثانيًا: المدن الاستكباريَّة الظالمة في المنطق القرآني 44
ثالثًا: الجرم 46
رابعًا: المكر 47

الفصل الثاني 53
الاستكبارُ العالميّ والسيطرةُ على عالم الأفكار والحقائق

المبحث الأوّل
سياسةُ تشويه الوقائع وتزوير الحقائق 54

أوّلاً: المستكبرون وسياسة التحريف والتزوير 54
ثانيًا: تحريف الوقائع وتزوير الحقائق في طوفان الأقصى 55

ثالثًـا: تحريف السـلطات الإسرائيليّة للحقائق 58
في الحرب على غزة
ثانيًا: تحريف الوقائع وتزوير الحقائق في طوفان الأقصى 55

المبحث الثاني
سياسةُ إنكار الحقّ الواضح 61

أوّلاً: المستكبرون وإنكار الحقّ الواضح 61

المبحث الثالث
الاستبدادُ الفكريّ واحتكارُ المعرفة 65

أوّلاً: الاستكبار والشعور بالقبض على الحقيقة والمعرفة 65
ثانيًا: نماذج معاصرة من احتكار المعرفة والاستبداد الفكريّ 65

المبحث الرابع
تجهيلُ المجتمع وتسطيحُ الوعي 71

أوّلاً: المستكبرون وتجهيل المجتمعات بهدف التحكّم والسيطرة 71

الفصل الثالث 75
الاستكبارُ وعالمُ القيم ونمطِ الحياة

المبحث الأول
سياسة نشر الفساد 76

أوّلاً: المستكبرون وسياسة نشر الفساد 76
ثانيًا: دوافع ظاهرة الفساد والطغيان 77
ثالثًا: أمريكا ونشر الفساد لتدمير الشباب 78

المبحث الثاني
82 | **تعزيزُ الجانب الماديّ من نمط الحياة**

أوّلاً: التوفيق بين الحياة الماديّة والمعنويّة 82
ثانيًا: المستكبرون وسياسة الإغراء بنمط الحياة الماديّة 83
ثالثًا: السيطرة الغربية على الماركات التجاريّة 85
رابعًا: إفقار الشعوب ونهب الثروات 86

الفصل الرابع 89
سياساتُ المؤامراتِ والعنفِ والإرهابِ

المبحث الأوّل
90 | **سياسة فرّق تَسُد**

أوّلاً: المستكبرون وسياسة فرّق تسد 90
ثانيًا: نماذج من سياسة «فرق تسد» في عالمنا المعاصر 91

المبحث الثاني
97 | **سياساتُ المكر والمؤامرات**

أوّلاً: المستكبرون وسياسة المكر 97

ثانيًا: الاستكبار العالميّ المعاصر وسياسات المكر 99

المبحث الثالث
العنفُ والإرهابُ والقتلُ 102

أوّلًا: المستكبرون واستخدام القتل والعنف 102
ثانيًا: الاستكبار العالمي المعاصر وسياسات القتل والعنف والإرهاب 105
ثانيًا: الاستكبار العالمي المعاصر وسياسات القتل والعنف والإرهاب 105

المبحث الرابع
السجنُ والاعتقالُ والنفيُ 108

أوّلًا: المستكبرون وسياسة السجن والاعتقال 108
ثانيًا: سياسة المستكبرين المعاصرين في السجن والاعتقال 109

الفصل الخامس 115
الاستكبارُ العالميّ والعسكرُ والاقتصادُ

المبحث الأوّل
السيطرة الاقتصاديّة والماليّة 116

أوّلًا: المستكبرون والسيطرة على الاقتصاد والثروة الماليّة 116
ثانيًا: عناصر قوة الهيمنة الاقتصاديّة الأمريكيّة على العالم 117

المبحث الثاني
السيطرةُ الأمنيّة والعسكريّة 122

أوّلاً: المستكبرون وأجهزة السيطرة الأمنيّة والعسكريّة 122
ثانيًا: أمريكا وقدراتها الاستخباراتيَّة والعسكريَّة للهيمنة 125

المبحث الثالث
الترابطُ بين السيطرة الاقتصاديّة والعسكريّة 129

أوّلاً: الاستعمار الفرنسيّ الجديد في أفريقيا 129
ثانيًا: السيطرة الأمريكيّة على الخليج الفارسي 131

لائحة المصادر والمراجع 135

تمهيد

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَـٰذَا الْقُرْآنَ﴾[1].

القرآن الكريم كتاب هداية للإنسان عامّةً، وعندما يعرض القرآن القصص فإنّما يأتي ذلك في ضوء خدمة هذا الهدف الذي هو هداية الإنسان أي تبصرته بالطريق الموصِل إلى الهدف والأخذ بيده وإيصاله إلى تحقيق الغرض المطلوب؛ لأنّ القرآن ليس كتابًا في التاريخ، أو كتابًا في أدب القصص القصيرة، ليتحدث -مثلاً- عن فرعونَ وهامانَ وقارونَ والنُّمرود وقوم عادٍ وثمودَ وغيرها من القرى المستكبرة... بهدف التأريخ للأحداث وتوثيق الوقائع والمعطيات، أو ليرفّه عن القارئ ويؤنسه ويسلّيه في أوقات فراغه، إنّما يعالج القرآن هذه المواضيع في السياق الذي يخدم غرضه، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[2]، وقال

1 - سورة يوسف، الآية: 3.

2 - سورة يوسف، الآية: 111.

تعالى: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1]. ففي هذه القصص التي يعرضها القرآن الكريم عن الأمم المستكبرة عِبر ودروس للناس كي تتفكّر وتتأمّل وتنظر وتتدبّر، لتستخلص منها المفاهيم والنتائج التي تستفيد منها في حياتها المعاصرة وتتمكَّن من معرفة السُّنن الإلهيَّة الحاكمة على التاريخ البشري، وتعمل في ضوئها للوصول إلى بناء المجتمع الصالح، ونشر العدل، وبسط القسط، ومكافحة الظلم والفساد، ومحاربة الشرك والاستكبار والاستعلاء في الأرض. ولذا ورد عن الإمام الباقر، عليه السّلام: «... ولكلِّ قوم يتلوها هم منها من خيرٍ أو شر»[2]، فالآيات القرآنية حيّة مدى الدّهر لا تموت، فهي غير مختصّة بمن نزلت فيهم، لتتقيَّد بزمان دون زمان أو مكان دون مكان، عن الإمام الباقر، عليه السّلام، قال: «إنَّ القرآن حيٌّ لا يموت، والآية حيَّةٌ لا تموت، فلو كانت الآية إذا نزلت في الأقوام وماتوا ماتت الآية، لمات القرآن، ولكن هي جارية في الباقين كما جرت في الماضَين».[3]

وهذا الجريان في الباقين بلحاظ المستقبل، يعني أنْ يستفيد الإنسان على امتداد الزمان الآتي من تطبيق مُفاد آية قرآنيّة معيّنة نزلت في واقعة أو حادثة أو قصّة -سواء أكانت قد حصلت تلك الواقعة في عصر النصّ ونزول الآية أم قبل عصر النصّ- في واقعة أخرى مشـابهة لها، وتمتلك الخصوصيَّاتِ

1 - سورة الأعراف، الآية: 176.

2 - المشهدي، تفسير كنز الدقائق، ج1، ص6.

3 - المصدر نفسه.

نفسَها من باب اشتراك الأمور المتشابهة في الحكم، وبعبارة أخرى الآيات القرآنيّة تؤسّس قاعدة عامة تنطبق على كلّ زمان ومكان ويستفيد منها الإنسان في زمانه الخاصّ، باعتماد ذلك القانون أو التوصيف وسائلَ للبصيرة والتفكّر والهداية، وإلّا لو كان غرض نزول تلك الآيات هو مجرد التوصيف للوقائع والتوثيق للأحداث، لما تمكّن الإنسان من أن يستفيد منها بتطبيقها على واقعه الذي يعيش فيه، ولمات القرآن الكريم، ولما كان هو كتابَ الله الخاتَم للكتب السماويّة كلها، والصالح لهداية البشرية على امتداد الزمان المستقبل.

وبناء عليه، حين يحدّثنا القرآن الكريم عن نموذج من نماذج المستكبرين في الأرض والظَّالمين والفاسدين والمجرمين؛ كابن آدم قابيلَ، أو فرعون وهامان وقارون، أو إخوة يوسف، أو أبو لهب، أو النُّمرود الذي حاجّ إبراهيم في ربّه، أو قوم عاد، أو قوم لوط، أو قوم ثمود... إلخ، الّذين كانوا في الماضي وخصوصيَّاتهم ومواصفاتهم وأساليبهم وسياساتهم وتركيبتهم الاجتماعيّة والنفسيّة والسلوكيّة... فإنّها لا تكون خاصّة بفرد أو قوم كفرعون أو عاد مثلاً، بل الغرض هو تطبيق هذه الأمور على كلّ شخص أو دولة أو جماعة تتوفّر فيها تلك الخصوصيَّات، والمواصفات، والسياسات، فيكون هو المقصود بالآيات الكريمة والخطاب القرآنيّ، ونستطيع أن نُطبِّق ونجري عليه العنوان الخاصّ به كالمستكبر والاستكبار والعلوّ في الأرض والإجرام والفساد والبغي والطغيان... إلخ.

فحيويّة القرآن وفاعليَّته تكمن في قدرته على مواكبة حياة الإنسان على امتدادها، فهو يتجدد دائمًا مع اللّيل والنهار. وقد أصاب علماؤنا عندما

استخدموا مصطلح الجري والتطبيق لإجراء أحكام القرآن وقوانينه على كلّ من تتوفّر فيه المميزات والمواصفات التي تذكرها الآيات القرآنيّة الكريمة بغض النظر عن الشخص والزمان والمكان، فهذه الأحكام تدور مدار الخصوصيَّات والصفات، وتتجاوز الشخص أو الجماعة التي تتحدّث عنها, أو نزلت فيهم، فهو مأخوذ من باب التطبيق والمصداق لا الحصر؛ففرعونُ، وإن كان شخصًا في التاريخ ولعب دورًا في رسم معالمه في زمن موسى، عليه السّلام، لكنّه في المنطق القرآني يتجاوز كونه فرعون بعنوانه الفردي والشخصي ليكون رمزًا يمثّل كلِّ مستكبر ومستعلٍ في الأرض، يستعمل السياسات الاستكباريَّة ذاتها التي قام بها فرعون، ففرعون هو كلُّ من يستكبر في الأرض، ويذيق المستضعفين سوء العذاب، ويقتل أبناءهم، ويظلم، ويفسد، وينكر الحقّ ويحاربه، ويجمع ثروة هائلة من الطرق غير المشروعة؛ ليتحكم بها في رقاب الناس ويستعلي عليهم، ويستخدم القدرات العسكرية لدولته في سبيل البغي والعدوان والطغيان... إلخ.

فمثلاً سياق قوله تعالى: ﴿**وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ**﴾[1]، يتحدّث عن مستضعفي بني إسرائيل، ولكن الروايات طبّقتها على أئمة أهل البيت، عليهم السلام، في زمانهم، فعن المفضَّل بن عمر قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول:

1 - سورة القصص، الآيتان: 5-6.

«إنَّ رسول اللّه (ص) نظر إلى عليٍّ والحسن والحسين (ع) وبكى، وقال: أنتم المستضعفون بعدي، قال المفضل: فقلت: ما معنى ذلك يا ابن رسول الله؟، قال (ع): معناه إنكم الأئمة بعدي إنَّ الله، عزَّ وجل، يقول: (وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ) فهذه الآية جارية فينا إلى يوم القيامة».[1]

وهكـذا في روايات أخرى، وهـذا أيضًا ليس من باب الحصر، فهذه الآية تطبيقيًّا تشـمل المسـتضعفين من بني إسرائيل، وتشـمل أئمّة أهل البيت، وتشـمل كلّ مسـتضعف يتعرّض للسياسات الاسـتكباريَّة عينها التي كان يتّبعها فرعونُ.

وفي هذا الكتيّب، سنسـلّط الضوء على السياسات الاستكباريَّة في القرآن الكريم، ونسـتخرج القوانين العامة لها، محاولين إسـقاطها وتطبيقها على بعـض النماذج في واقعنـا المعاصر، لنرى أنّ هذه السياسـات هي بعينها التي تمارسـها الدول المسـتكبرة؛ كأمريكا، وبريطانيا، وفرنسا وإسرائيل، وغيرها ضد المسـتضعفين في الأرض، وأنّ هذه السياسـات الاستكباريَّة ستسـتخدمها أي دولة مسـتكبرة أخرى على امتداد التاريخ البشري إلى أن يمـنّ الله، تعالى، على المجتمع البـشري بظهور صاحب العصر والزمان، عجل الله ،تعالى فرجه الشريف، فيمحق الله، تعالى, الاسـتكبار والباطل والشرك والفساد والإجرام والطغيان والظلم و... وينتشر التوحيد والإيمان والعدل والقسط والصلاح...

1 - الصدوق، معاني الأخبار، ص79.

«اللهُـمَّ إنّا نَرغَبُ إلَيكَ في دَولَةٍ كَريمَةٍ تُعِزُّ بِها الإسـلامَ وَأهلَهُ، وَتُذِلُّ بِها النِّفـاقَ وَأهلَـهُ، وَتَجعَلُنا فيها مِنَ الدُّعاةِ إلى طاعَتِكَ وَالقادَةِ إلى سَـبيلِكَ، وَتَرزُقُنا بِها كَرامَةَ الدُّنيا وَالآخِرَةِ».

الفصل الأوّل:

الحقولُ الدلاليَّةُ للاستكبار والمفرداتُ المرتبطة بها

المبحث الأوّل:
الاستكبارُ والاستضعافُ

تمهيد:

تمتاز اللغة العربية بغنى مفرداتها ومعجم ألفاظها، فقد تجد لمعنى واحد ألفاظًا متعدّدة تُعبرِّ عنه، وكلّ كلمة تعبرِّ عن جانب من جوانب هذا المعنى أو ذاك، فتتعدد الألفاظ لشمول المعاني والإحاطة بها، فمثلاً مفردة التربية في اللغة العربية إذا بحثنا عنها في المعاجم اللغوية نعثر على مفردات أخرى كثيرة تشترك معها في المعنى إمّا على نحو من التطابق أو الالتزام أو التضمّن مثل: التنمية، والإشراف، والتنشئة، والإصلاح، والسياسة، والحضانة، والتغذية، والتأهيل... إلخ [1].

فمن جملة المناهج التي يعتمدها علماء التفسير مثلاً في الوصول إلى المعنى المراد لمفردة من مفردات القرآن الكريم اعتماد طريقة الترادف والأشباه والنظائر، القائمة على الدراسة التحليليّة لهذه المفردة أو تلك كالاستكبار مثلاً، من خلال البحث عن اللفظ المرادف - أو المرادفات - لها وتحديد معناها، ثم البحث عن مرادف المرادف، أو البحث عن الضدّ، ثم البحث عن مرادف الضدّ، وهكذا... كأنْ نبحث مثلاً عن مفردة الاستكبار فنجدها ترتبط بمعانٍ عديدة، كالاستعلاء، والعناد، والقهر، والغلبة،

1 - انظر: عجمي، سامر توفيق، التربية بنظرة فلسفية، ص41..

والبطر، والطغيان و... في سبيل بناء شبكة من المعاني المترابطة نستفيد منها في تعميق الفهم حول هذه القضية أو تلك، بحيث تكشف عن المراد من المفهوم على نحوٍ أوضح. ولأنّ بحثنا عن السياسات الاستكباريَّة في القرآن، فسنسلط الضوء على المعاني والمفردات التي ترتبط بالاستكبار في القرآن الكريم بحيث إذا ربطناها مع بعضها بعضًا تشكّل لنا شبكة مفهوميّة واسعة ،وترسم لنا معالم الاستكبار على نحوٍ أجلى وأوضح.

- **أوّلًا: ما الاستكبار؟**

الاستكبار والكِبْر والتّكبّر تتقارب في معانيها، فالكِبْر هي الحالة التي يتخصّص بها الإنسان من إعجابه بنفسه، وذلك أن يرى نفسه أكبر من غيره. والتكبّر على اللّه يكون بالامتناع من قبول الحقّ والإذعان له بالعبادة.

والاستكبار على وجهين:

أحدهما: أنْ يتحرّى الإنسان ويطلب أنْ يصير كبيرًا، وذلك متى كان على ما يجب، وفي المكان الذي يجب، وفي الوقت الذي يجب فمحمود.

والثاني: أن يتشبّع فيُظهِر من نفسه ما ليس له، وهذا هو المذموم[1].

- **ثانيًا: الترابط بين الاستكبار والتكذيب والاستحقار...**

ولكن عادة ما تستخدم صفة الاستكبار بالمعنى المذموم. ونحن في بحثنا هذا سوف نلقي الضوء على المعنى المذموم، محاولين أنْ نكشف

1 - الراغب الأصفهانيّ، مفردات ألفاظ القرآن، ص697.

ونبيّن هذه الصفة اللاأخلاقيّة التي يتمتّع بها الكفّار الّذين جحدوا الحقّ واستكبروا عن اتّباعه، فضلاً عن الاعتراف به، على الرغم من بيان الحجّة ووضوحها لديهم، كما جاء في القرآن الكريم: ﴿**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ**﴾[1]، وقال تعالى ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا**﴾[2]، يمكننا أن نستخلص من هذه الآية التلازم الواضح بين التكذيب والاستكبار، إذ إنّ هذا التكذيب لا يأتي إلّا نتيجة لاستكبارهم، إذْ يرون أنفسهم أعلى شأنًا وقدرًا من رسول اللّه الذي يعرض عليهم آيات ربّه، مقرونةً بالأدلّة والشواهد والمعجزات. فلا يكون منهم إلّا أن يكذّبوها بدافع النظرة الفوقيّة التي ينظرون به إلى شخص الرسول، صلَّى الله عليه وآله وسلّم.

ولنا في قصّة فرعون مع موسى خير مثالٍ على الكِبْر الفاضح والواضح المتلبّس بشخصيّة فرعون، حيث جاء في الكتاب العزيز على لسان فرعون: ﴿**وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ * أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ**﴾[3]

وهنا يمكننا ملاحظة الكِبْر في أجلى صوره، حيث يتفاخر ويتباهى فرعون بكونه ملك مصر الذي تجري من تحته الأنهار، ويوصّف موسى عليه السلام بالمهين بمعنى الحقير الضعيف، إذ إنّه يرى نفسه أكبر مكانةً

1 - سورة النمل، الآية: 14.

2 - سورة الأعراف، الآية: 40.

3 - سورة الزخرف، الآيتان: 51-52.

وأعلى شـأنًا منه، وهنا نرى تلازمًا واضحًا بين الاستكبار والاستحقار، أي أن المستكبر يعيش حالة استحقار واستصغار للآخرين.

ولنا -أيضًا- في قوم عاد وثمود خير مثال، إذ قال تعالى فيهم: ﴿**فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ**﴾[1]، وهنا ربط تعالى الاستكبار بالباطل (بغير الحقّ)، لأنّ الاستكبار إنّما هو طلب الكِبْر ممن لا يستحقه، فهو لا محالة باطل. كما زعموا أنّهم لم يروْا مَنْ هم أشدّ منهم قوّةً؛ لأنّهم إنّما يرون أنفسهم أشدّ الخلق قوّةً على وجه الأرض، وهذا موضع الاستكبار.

هذه الحال لفرعون وثمود يمكننا تطبيقها على القوى التي تسـمى العظمى اليوم، كالولايات المتّحدة الأمريكيّة وبعض الدول الغربيّة، فلسان حال أمريكا يتمثّل قول عاد: «مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً»، ولسان حال أمريكا في النظر إلى الشعوب الأخرى يتمثّل قول فرعون: «أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ»، وسـنعالج هذه المسائل بالتفصيل في الفصول والمباحث اللاّحقة، إن شاء الله ،تعالى.

جاء في كتاب اللّه على لسان قوم ثمود: ﴿**قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنتُم بِهِ كَافِرُونَ**﴾[2]، وفي هذا الموضع نرى ربط الاستكبار بالكفر، إذ إنّ المستكبرين لا سبيل لهم للإيمان بما أتى به الرسل من الآيات البيّنات، وكذلك قوم ثمود الّذين كذّبوا نبيّهم صالحًا، عليه السلام، وكفروا بما أُنزل إليه، نتيجة إعجابهم بنفسهم وتكبّرهم عليه.

1 - سورة فصلت، الآية: 15.

2 - سورة الأعراف، الآية: 76.

● **ثالثًا: بين الضعف والاستضعاف في القرآن الكريم:**

مـن خـلال متابعتنا لسـياق الآيـات القرآنيّـة، نلاحظ تقابـل المتكبّرين والمسـتضعفين، أو حالتـي التكبّر والاسـتضعاف، إشـارةً إلى أنّ أولئك المسـتكبرين إنّما يمارسـون اسـتكبارهم على المسـتضعفين، أي الّذين يرونهم أقلّ منهم، إذ إنّ الاستكبار ليست بصفة ذاتيّة؛ إنّما هي من الصفات الإضافية والنسبية بالمقارنة مع الآخرين، فتُمارِس بملاحظة جهةٍ أخرى.

والمستضعفون على نوعين:

أوّلًا: المستضعفون الخاضعون الخانعون لحكّامهم أو لكبراء قومهم، والّذين يُعَدُّون جزءًا من المنظومة العامّة التي تخدم المستكبرين، وهؤلاء مصيرهم لا ينفكّ عن مصير كبرائهم المستكبرين، إذْ إنّهم لم يقوموا بواجبهم بمجابهة المستكبرين ومناهضتهم ومقاومة سياساتهم والوقوف في وجهها، بل استسلموا لهم, وأصبحوا أدوات يشكّلون جزءًا من مشروعهم الاستكباريّ. جاء في كتاب اللّه العزيز: ﴿**وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ**﴾[1]، يتحاجّون بمعنى يتخاصمون ويستعتب بعضهم بعضًا، حيث يحتجّ المستضعفون على كبرائهم أنّهم كانوا لهم تبعًا في الدنيا، أي أنّهم وصلوا إلى ما وصلوا إليه من النار بسبب اتّباعهم لهم، فمن الجدير بالكبراء الدفاع عنهم أو حمايتهم منها، أو حتى التخفيف

1 - سورة غافر، الآيتان: 47-48.

عنهم، لأنّهم حسب زعمهم لم يصلوا إليها بأيديهم، بل بسبب اتّباعهم للكبراء الّذين كانوا من أهل الكفر والجحود، ويأتي جواب المستكبرين أنْ لا سبيل لنا ولا لكم إلى الخروج منها، إذ إنّ اللّه حكم بين العباد وأعطاهم نصيبًا مما كسبوا في الحياة الدنيا.

ثانيًا: المستضعفون المقهورون المظلومون تحت حكم المستكبرين الّذين نالوا ما نالوه من التعذيب والتنكيل بسبب معارضتهم ومخالفتهم للكبراء، كما هو حال المقاومين المسلمين الأحرار المناهضين للاستكبار العالميّ في عصرنا هذا، وهؤلاء لا شكّ بكبر قدرهم عند اللّه ومكانتهم المحمودة لديه. قال تعالى: ﴿**قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ**﴾[1]، وهذه إشارة واضحة إلى مخالفة المستضعفين للمستكبرين، حيث آمن المستضعفون من قوم عاد بنبيّهم صالحًا، وواجهوا المستكبرين وأفصحوا عن إيمانهم بما أتى به صالحًا عليه السلام. أمّا الدرجة الرفيعة التي يحظى بها المستضعفون المظلومون، فيمكننا استنباطها من خلال قول اللّه، جلّ وعلا: ﴿**وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ**﴾[2].

واللّافت في القرآن الكريم هو التعبير عن القسم الأوّل بـ «الضعفاء» دون المستضعفين، كما في الفئة الثانية، وهذه إشارة مُهمَّة ولطيفة، وكأنّ

1 - سورة الأعراف، الآية: 75.

2 - سورة القصص، الآية: 5.

الاستضعاف مختصٌّ بأولئك الذين مارس المستكبرون عليهم سياسات الاستكبار مع رفضهم لها ومقاومتهم لها، بينما الضعفاء هم من اختاروا أن يكونوا تحت حكم المستكبرين.

ويمكن أن نتخذ من ذلك اصطلاحًا، فنقول هناك في أي دولة أو مجتمع: الضعفاء، أي أن يكون الضعف اختياريًّا، بأن يختار هذا الفرد أو الجماعة أن يكون جزءًا من منظومة الاستكبار والفساد والطغيان؛ بل جنديًّا فيها لتحقيق مآرب المستكبرين، وهو مذموم له حكم المستكبرين في الدنيا والآخرة.

المستضعفون: الذي يعيش فيه صاحبه المقاومة للاستكبار، ويواجه سياسات المستكبرين والمستعلين.

المبحث الثاني:
العلوّ والعُتوُّ

● **أوّلًا: ما هو العلوّ والاستعلاء؟**

«العلـوّ ضدّ السـفل، والعلوّ بمعنى الارتفـاع، والاسـتعلاء طلب العلوّ المذموم».[1]

وقد أتى مصطلح علوٍّ واستعلاءٍ في وصف البشر في القرآن الكريم، ذامًّا لهم في أغلب المواضع، حيث ورد في آياته الكريمة: ﴿**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا**﴾[2]، فقد ربط تعالى في هذا الموضع العلوّ مع الظلم، لكون العلوّ صفةٌ مذمومةٌ تأتي مقرونة بالظلم لأنفسهم أو لغيرهم.

كما يمكننا ملاحظة اقتران العلوّ بالاستكبار كما ورد في كتاب اللّه: ﴿**ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ**﴾[3]، أو كما في قوله تعالى مخاطبًا إبليس: ﴿**قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ**﴾[4]، فهذا الخطاب الإلهيّ عبارة عن استفهام توبيخي

1 - الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص583.

2 - سورة النمل، الآية: 14.

3 - سورة المؤمنون، الآيتان: 45-46.

4 - سورة ص، الآية: 75.

لإبليس الذي أبى أن يسجد لآدم، ونلاحظ هنا تباينًا بين معنى الاستكبار والعلوّ؛ أي بمعنى هل تمرّدت على أوامري أم ترى نفسك أعلى من أن تخاطب بالأمر بالسجود؟! فعلى الأول- أي الاستكبار- يكون إبليس مشمولاً بالتكليف والخطاب ولكنه لا يريد الطاعة والامتثال، وعلى الثاني يكون إبليس يرى نفسه غير مشمولٍ بالخطاب والأمر بالسجود؛ بل هو أعلى وأرقى وأسمى من أن يخاطَب بمثل هذا الخطاب.

ويمكننا ومن خلال جواب إبليس الذي ردّ مجيبًا: (أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ)، وعطف قوله تعالى على ذلك: ﴿أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ﴾[1]، أنّ الاستكبار أفدح وأعظم من العلوّ ، إذ إنّ للاستكبار جنبتين، جنبةً تُمارَسُ تجاه الخلق وجنبةً تُمارَسُ تجاه الحقّ تعالى ممّا يؤدّي إلى الكفر والجحود، أمّا العلوّ فهو الفضل الذي يراه إبليس لنفسه وهو مختصّ بالخلق؛ أي أنّه يرى نفسه أعلى من آدمَ المخلوق فقط، ولا يتعدّى في ذلك إلى استعلائه على الخالق، مستندًا على المادّة التي خُلِقَ منها وهي النار،حيث إنّ النار أقوى وجوديًّا من الطين، لذا ظنّ إبليس أنّ كونه مصنوعًا منها، يعطيه الأفضليّة على آدمَ المكوّن من الطين..

فالعلوّ هو أن يرى الإنسان نفسه أفضل من غيره حسب جنسه أو لونه أو قوميّته أوعرقه أو أصوله أو لغته، والرسل قد بعثوا إلى أبناء قومهم الّذين يشاركونهم العرق واللّون واللّغة والثقافة و...الخ، ومع ذلك مارسوا عليهم الاستكبار وكفروا بهم؛ بل ونبذوهم من مجتمعاتهم.

1 - سورة البقرة، الآية: 34.

● **ثانيًا: العلوّ وادّعاء الربوبيّة وارتباطها بسياسات التمزيق والإجرام:**

ينقل القرآن الكريم عن فرعون قوله: ﴿**أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ**﴾[1]، إذ ادّعى الربوبيّة المقرونة بالعلوّ ههنا، وتعني أنّ مقاليد الحكم بيده، كما وأرزاق وأحوال الناس الّذين يعيشون تحت سلطته وملكه، ففرعون يرى لنفسه الأفضليّة على سائر الموجودين في مملكته من أولياء أمور وحكّام وعمّال وغيرهم. حيث إنّ الربوبيّة تعني لغة تنشئة الشيء حالاً فحالاً، وتدبير شؤونه من أجل إيصاله إلى كماله المستعد له بحسب طبيعته[2]، وتتضمن الربوبيّة الحفظ والرعاية وإصلاح الشيء والقيام عليه... يقول ابن سيده في معنى الربّ: «صله في الاشتقاق من التَّرْبية، وهي التَّنْشئة،... وقيل للمالك رَبّ لأنّه يملك تَنْشِئةَ المَرْبُوب... ومنه ربّان السفينة لأنّه ينشِئُ تدبيرها ويقوم عليها...»[3].

ففرعون يرى نفسه هو الربّ المدبر لشؤون الناس الواقعين تحت سلطانه وحكمه، وليس لهم ربّ ولا إله غيره، ﴿**وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي**﴾[4].

ويمكننا أن نستنتج من قوله تعالى: ﴿**إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ**

1 - سورة النازعات، الآية: 24.

2 - انظر: الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج4، ص337. والألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني تفسير الآلوسي-، ج1، ص77.

3 - ابن سيده، المخصص، ج5، ص155.

4 - سورة القصص، الآية: 38.

كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾[1]، أن هناك تلازمًا بين سياسة العلوّ المتّبعة من قبل فرعون وسياساتٍ فاسدة أخرى كسياسة تمزيق الشعوب من خلال بثّ الفتن والمكائد (جعل أهلها شيعًا)، وممارسة الإجرام والعنف بحقّ المستضعفين (يذبّح أبناءهم)، وكذلك حال المستعلين المعاصرين كأمريكا وإسرائيل وغيرهما الّذين يبثّون الفتن بين الشعوب أو بين أبناء الشعب الواحد بهدف تفريقهم وجعلهم شيعًا متناحرة، تطبيقًا لسياسة «فرّق تَسُد» التي تشكّل واحدة من أهمّ أدوات العالم الغربيّ التي يستخدمها بهدف بسط سيطرته على الشعوب وإضعافهم، بالإضافة إلى ممارسة البطش واستخدام اليد الحديديّة في مواجهة الشعوب المستضعفة كما سيأتي شرح ذلك بالتفصيل.

- **ثالثًا: العتوّ**

العتوّ: هو الترفّع والاباء عن الطاعة، وبعبارةٍ أخرى شعور المرء بنفسه أنَّه أعظم وأعلى من أن يطيع، فالخروج على الطاعة بدافع هوى النفس -على سبيل المثال- ليس من العتوّ.

والطاعة عبارة عن الامتثال والانقياد، بالإضافة إلى الامتثال للأوامر والنواهي.

فالخروج عن الطاعة سلوكيًّا يتمثّل في عدم الامتثال للأوامر والنواهي، وإذا كان هذا الخروج بدافع الترفّع، يكون عتوًّا.

قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ**

1 - سورة القصص، الآية: 4.

عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾[1]، والّذين لا يرجون لقاء اللّه، هم الّذين كذّبوا باليوم الآخر والرجوع إلى اللّه. اعترض هؤلاء المكذّبون على عدم نزول الملائكة إليهم وعدم رؤيتهم للإله، وقولهم «ربّنا» يأتي تعقيبًا على دعوة الرسول إلى عبادة اللّه الواحد الأحد، أو بعبارةٍ أخرى ربّ الرسول وربّهم المتمثّل في واحدٍ لا غيره، وهنا تكمن النكتة، إذ إنّ اعتراضهم على واحديّة اللّه يأتي في سياق اعتراضهم على الرسول، بمعنى أن لسان حالهم يقول: « لو كان ربّك (أيّها الرسول) وربّنا واحدًا، لمَ اختصّك وحدك بالوحي والتكليم والرؤية، أي لماذا لم نحظَ نحن العبيد لنفس الإله بتلك الخصوصيّات؟». وهذا ما دفعهم إلى الاستكبار على الرسول والكفر برسالته ومن ثَمَّ الإباء على الطاعة لذاك الإله الذي يدّعي الرسول وجوب طاعته.

وقد ورد في ذكر عقوبة ثمود الّذين لم يمتثلوا لأمر ربهم: ﴿**وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ * فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ**﴾[2].

ونلاحظ اقتران العتوّ بالنفور قال تعالى: ﴿**أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ ۚ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ**﴾[3]، وفي هذه الآية استفهام إنكاري وتهكّمي على وجهين، الوجه الأوّل المحتمل: هو الانكار والتهكّم على

1 - سورة الفرقان، الآية: 21.

2 - سورة الذاريات، الآية: 44.

3 - سورة الملك، الآية: 21.

الّذين لم يؤمنوا باللّه، أي إن أنكرتم وجود اللّه وجحدتم به، فإذًا من هو الذي يرزقكم؟

والوجه الثـاني المحتمل: هو الإنـكار والتهكّم على الّذيـن ادّعوا تعدّد الآلهة، فيقال لهم، إذا حبس الإله عنكم الرزق، فمن هو الإله الآخر الذي يملك الخزائن والقدرة على تغيير إرادة الإله الأوّل ومشـيئته ؛فيرزقكم بعد أن حُبِسَ عنكم الرزق؟

ويجيـب الله ،تعـالى في قوله (بَل لَّجُّـوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُـور)، أي أنّ الحقّ واضح أمام أعينهم إلاّ أنّهم تمادوا وأصرّوا على العتوّ والنفور.

وكـما تبيّن لنـا من الآيات التي جـاء ذكرها، أنّ الترفّع عـن طاعة اللّه أو عـدم الامتثال إلى أوامره ونواهيه، يعدُّ منشـأً للعذاب والعقاب الإلهيّ، إذ أنّ واجـب كلّ عبد، بل سـبب وجوده هـو عبادة اللّه الواحـد الأحد؛ أي الاستسـلام الانقياد له، والامتثال لأوامره ونواهيه على وجه الطاعة وطلب القرب.

والخلاصة أنّ من أبرز سياسات المستكبرين هي العتوُّ عن أمر الربّ، سبحانه وتعالى، بمعنى رفض طاعة الأوامر الإلهيّة والتمرّد عليها انطلاقًا من روحية الاستكبار والاستعلاء، وهي سنّة جارية في الدول والمجتمعات المستكبرة، يقول تعالى: ﴿**وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا**﴾[1].

1 - سورة الطلاق، الآية: 8.

المبحث الثالث:
الطغيانُ والبغيُ

● **أوّلًا: ما هو الطغيان؟**

الطغيان هو تجاوز الحدّ، وعادةً ما يأتي في القرآن بمعنى تجاوز الحدّ في العصيان. والفعل منه طغى، أي تجاوَز الحدّ المذموم غالبًا.

أمّا معنى تجاوز الحدّ غير المذموم فقد ورد في مواضع محصورة من القرآن، كقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾[1] ◉ **إشارةً إلى الماء الذى تجاوز الحدّ وطفح عنه. أو كقوله تعالى: (فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ﴾**، تعبيراً عن الطوفان الذي أخذ قوم ثمود.

وأمّـا المعنى المذمـوم، وهو تجاوز الحدّ في العصيان، فقد ورد بشـكلٍ لافتٍ في كتاب اللّه وفي آياتٍ متعدّدة، منها:

طغيان فرعون:

﴿**اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ**﴾[2]، أي تجاوز الحدّ في الفساد والاستكبار.

﴿**قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ**﴾[3]،الفرط التقدم والمراد به بقرينة مقابلته الطغيان أن يعجّل بالعقوبة ولا يصبر إلى إتمام

1 - سورة الحاقة، الآية: 11.

2 - سورة النازعات، الآية: 17.

3- سورة طه، الآية: 45.

الدعوة وإظهار الآية المعجزة، والمراد بأن يطغى أن يتجاوز حدّه في ظلمه فيقابل الدعوة بتشديد عذاب بني إسرائيل والاجتراء على ساحة القدس بما كان لا يجترئ عليه قبل الدعوة.[1]

طغيان ثمود:

وقال تعالى: ﴿**كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا**﴾، بمعنى كذّبت ثمود بعقوبتهم الموعودة نتيجة طغيانهم وتجاوزهم الحدّ.

● ثانيًا: الطاغوت في القرآن الكريم:

الطّاغوت مشتق من الطغيان، وهو عبارة عن كلّ متعبَّد، أو معبود من دون اللّه, تعالى، كالأصنام والشياطين، والجنّ، وأئمة الضلال...

وقد جاء ذكر هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿**فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ**﴾[2]، وتقديم الكفر على الإيمان، ليوافق الترتيب الذي يناسبه الفعل الواقع في الجزاء، أي الاستمساك بالعروة الوثقى، لأنَّ الاستمساك بشيء إنما يكون بترك كل شيء والأخذ بالعروة، فهناك ترك ثم أخذ، فقدم الكفر وهو ترك، على الإيمان وهو أخذ، ليوافق ذلك، والاستمساك هو الأخذ والإمساك بشدة، والعروة: ما يؤخذ به من الشيء كعُروة الدلو وعروة الإناء، والعروة هي كل ما له أصل من النبات وما لا يسقط ورقه، وأصل الباب التعلق يقال:

---

1 - الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج14، ص156.

2 - سورة البقرة، الآية: 256.

عراه واعتراه أي تعلق به. وهو موضوع على الاستعارة للدلالة على أنّ الإيمان بالنسبة إلى السعادة بمنزلة عروة الإناء بالنسبة إلى الإناء وما فيه، فكما لا يكون الأخذ أخذاً مطمئناً حتى يُقبض على العروة كذلك السعادة الحقيقيّة لا يستقرّ أمرها ولا يرجى نيلها إلاّ أن يؤمن الإنسان باللّه ويكفر بالطّاغوت. فالكفر بالطاغوت عنصر محقّق لسعادة الإنسان.

وقال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ**﴾[1]، أي الّذين تجنّبوا وتركوا عبادة ما دون اللّه، ثم التجؤوا وأنابوا إلى اللّه وعبدوه، لهم البشرى والخير من ربّهم.

﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ**﴾، والاستفهام في هذه الآية يفيد التأسّف على الّذين ادّعوا أنّهم مؤمنون بما أنزل على محمّد (ص) ومن قبله من الرسل صلوات اللّه عليهم، والإيمان بالرسل يوجب الإيمان بما أنزل إليهم, وهو الكتاب الحقّ الذي أنزله اللّه معهم ليحكموا بين الناس فيما اختلفوا فيه، إلّا أنّ هؤلاء المدّعين زورًا بالإيمان يلتجئون في حال تنازعهم إلى الطغاة، أي الحكّام الّذين لا يحكمون بما أنزل اللّه, تعالى.

- **رابعًا: الربوبيّة التشريعيّة في التقنين والحكم:**

فالطاغوت له مفهوم واسع، يشمل كل ما هو معبود من دون الله أو

1 - سورة الزمر، الآية: 17.

بعبـارة أدق كلّ ما هو قد اتّخذ ربًّا من دون الله, تعالى، ومن أبرز مصاديق الطاغوت هو اتّخاذ المسـتكبرين والحكام الطغاة ربًّا من دون الله, تعالى، أمّا عن كيفية ذلك، فليس بمستغرب، وهذا ما يستدعي أن نتوقّف قليلاً عن فهم معنى الربوبيّة التي أشرنا إليّها سابقًا، فالربوبيّة من جهة الإنسان تعني أن يعتقد الإنسـان أنّ هذا الموجـود هو الربُّ المُدبِّر الذي يدبِّر شـؤوني وينظم أموري، وتنقسم الربوبيّة إلى قسمين:

الربوبيّة التكوينيّة، أي الاعتقاد بأنّ تدبير شؤون الكون من الخلق والإحياء والإماتة والرزق والشفاء وغيرها بيد الربّ، وفي هذا السياق ادّعى بعضهم الربوبيّة التكوينيّة كما يظهر من الذي حاجّ إبراهيم في ربّه -أي النُّمرود حسب الروايات- ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِى حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِى رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِى يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِى كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالمين**﴾[1].

والربوبيّة التشريعيّة، كما أنّ الاعتقاد بربوبية غير الله, تعالى، حاصل في عالم التكوين، فكذلك هو حاصل في عالم التشريع والتقنين والحكم وإدارة الدولة وتنظيم شؤون الناس، فالربوبية التشريعيّة هي الاعتقاد أنّ موجودًا ما له حقّ التشريع والتقنين وممارسة الحكم وقيادة الدولة... إلخ. «فمن أعطى زمام التشريع والتقنين أو الحلال والحرام إلى الإنسان فقد اتخذه ربّا لنفسه وصاحبًا لها ، ولأجل ذلك نرى أنّ القرآنالكريم يصرّح

1 - سورة البقرة، الآية: 258.

بأنّ اليهود والنصارى اتخذوا الأحبار والرّهبان أربابًا لأنفسهم، ولم يكن الاعتقاد بربوبيتهم بصورة الاعتقاد بتصرفهم في العالم السفليّ، وإنّما كان يتجلّى في اتخاذهم أربابًا وأصحابًا لأنفسهم في إطار التقنين ، فاستحلوا ما أحلّوه ، وحرّموا ما حرموه. يقول سبحانه : ﴿**اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَرُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللهِ**﴾[1] [2].

عن علي بن حاتم قال : «أتيت رسول الله (صلَّى الله عليه وآله وسلّم) وفي عنقي صليب من ذهب فقال لي : يا عليُّ! اطرح هذا الوثن من عنقك فطرحته ثم انتهيت إليه وهو يقرأ من سورة البراءة هذه الآية : (اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَرُهْبانَهُمْ أَرْباباً) حتى فرغ منها فقلت له : إنّا لسنا نعبدهم فقال : أليس يحرمون ما أحلّ الله فتحرّمونه ويحلّون ما حرّم الله فتستحلّونه قال: فقلت : بلى. قال : فتلك عبادتهم»[3].

وروي عن الباقر والصادق (عليهما السلام) أنهما قالا : «أما والله ما صاموا ولا صلّوا ولكنهم أحلّوا لهم حراماً وحرّموا عليهم حلالاً ، فاتّبعوهم وعبدوهم من حيث لا يشعرون»[4].

● **ثالثًا: احذروا الطاغوت الأكبر في عصرنا الحاضر: أمريكا والغرب**

بناء على ما تقدّم، كل إنسان يفوّض أمره إلى الطاغية والمستعلي

1 - سورة التوبة، الآية: 31.

2 - السبحاني، الإلهيات على ضوء الكتاب والسنة والعقل، ج1، ص406.

3 - الطبرسي، مجمع البيان، ج5، ص23.

4 - الكليني، الكافي، ج1، ص53.

والمستكبر بعنوان كونه هو من له حقّ التشريع والتقنين وإدارة شؤون البلاد والعباد بمعزل عن القانون الإلهي ورسالة السماء، فهو قد اتّخذه ربًّا، وتحاكم إلى الطاغوت، فمن يرضى من المسلمين المعاصرين بالقوانين الأمريكية والتشريعات الغربية الاستكباريَّة ويتحاكم إليها ويتّخذها منهجًا في الحياة السياسية والاقتصاديَّة والاجتماعيّة فإنّه يتحاكم إلى الطاغوت، ويرضى بأن يكون جزءًا من منظومة الاستكبار العالميّ من حيث يشعر أو لا يشعر، وهو بذلك يندرج في مجموعة الضعفاء الذين اختاروا أن يكونوا تحت حكم المستكبرين والمستعلين وقيادتهم، ولا يكونوا من المستضعفين، كما اتضح الفرق بينهما في مبحث سابق.

وأخيراً، بمتابعة سياق الآيات القرآنيّة، نستخلص مدى جسامة آفة الطغيان، حيث ورد في عدّة مواضع مقابلة اتّباع الطغاة بالعبوديّة للحقّ، تعالى، أو بعبارةٍ أخرى يمكننا القول: إنّ العبوديّة لا تصحّ إلّا بترك الطّاغوت بكل أشكاله وأنواعه.

كما لا يمكننا أنّ نغضّ الطرف عن الوعيد الإلهيّ بالعقوبة والعذاب للطّواغيت، بل ومتّبعيهم على حدٍّ سواء.

● خامسًا: ما هو البغي؟

البغي يتقارب في المعنى مع الطغيان، إذ إنّه عبارة عن تجاوز حدّ الاعتدال والتعدّي إلى حدّ الإفراط في الكميّة أو الكيفيّة.

أمّا الإفراط في الكميّة فيمكننا أن نفهمه من خلال المثال الآتي: قد حكمت الشريعة الإسلاميّة في حدّ الزاني غير المحصن بمئة جلدةٍ، فإذا

قـام الحاكم الشرعـيّ أو المنفّذ للحكم بجلد الـزاني غير المحصن 110 جلدات مثلاً، فهذا من البغي، لأنّه تجاوز الحدّ في الكميّة المقررة شرعًا.

وأمّا الإفراط في الكيفيّة فسوف نأخذ نفس مثال حكم الزاني غير المحصن في محاولـة توضيحه: إذا قـام الحاكم الشرعيّ أو المنفّـذ للحكم، بجلد الـزاني على وجهـه فهذا من البغي؛ لأنّه تجاوز الحـدّ المقرر من الشريعة مـن حيث كيفيّة الحكـم لأنّه يجب اتّقاء الوجه عنـد إقامة الحد، وكذلك لو تمّ تجريد المرأة المسلمة الزانية من ثيابها مثلاً؛ لأن المرأة الزانية تجلد كاسية.

وإذا راجعنا تاريخ سياسـات الدول الاستكباريَّة نراها دائمًا تتجاوز حتى ما هو مقرّر في القوانـين الخاصّة بها والقوانين والعهود والمواثيق الدوليّة التي هي عضو فيها من حيث الكميّة والكيفيّة.

والبغي المذكور في القرآن الكريم هو بهذا المعنى أي تجاوز الحدّ كمًّا وكيفًا، قال تعالى: ﴿**وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ**﴾[1]، وقال تعالى: ﴿**يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾[2]، والبغي هنا تجاوز الحدّ في الظلم والتعدّي على حقوق الآخرين.

ويذكر اللّه, جلّ جلاله, قصّة قارون الذي كان من قوم موسى فبغى عليهم أي فطلب العتوّ على قومه بغير الحقّ، فآتاه اللّه الكنوز والثروات ليجعلها

1 - سورة الشورى، الآية: 42.

2 - سورة يونس، الآية: 23.

بلاءً عليه، إذ آثر قارون الحياة الدنيا وما له فيها من الكنوز على الآخرة فخسف اللّه به وبداره الأرض ليجعله عبرةً لأولي الألباب. قال تعالى في قارون: ﴿**إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ**﴾[1]، ونرى من خلال هذه الآية أنّ الكنوز التي آتاها اللّه قارونَ لم تكن نعمةً عليه كما هو ظاهر، بل كانت مبداً لشقاوته وأخذه بالعقاب.

1 - سورة القصص، الآية: 76.

المبحث الرابع:

الفسادُ والإهلاك

- **أوّلًا: الفساد تحت شعار الإصلاح:**

الفساد: خروج الشيء عن الاستقامة، كثيراً كان الخروج عنها أو قليلاً، وضدّه الصلاح. قال تعالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (11) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ (12)**﴾[1].

وثمة أمثلة كثيرة للفساد تحت شعار الإصلاح، منها:

وعد بلفور البريطاني بالاحتلال اليهودي للأراضي الفلسطينيّة بقتلهم وتهجيرهم وحرمانهم من حقوقهم... جاء تحت شعار الإصلاح وإنقاذ اليهود والتعويض على ما أصابهم من قهر وحرمات.

ما قامت وتقوم به أمريكا بغزو العديد من الدول واحتلالها ونهب ثرواتها وخيراتها وتجويع أبنائها وقتل أطفالها و... كالعراق وأفغانستان وغيرهما تحت شعار إرادة إصلاح الحكم ونشر الديموقراطية.

ومن الفساد تحت عنوان الإصلاح محاربة أمريكا والغرب والمنظمات التابعة لهما القيم والتعاليم الإسلامية تحت شعار إصلاح المناهج والتربية والتعليم والثقافة الاجتماعيّة و... في قضايا الطفولة والمرأة والشباب، كتمكين المرأة، والمثْليَّة الجنسيّة، والجندريّة...

---

1 - سورة البقرة، الآيتان: 11-12.

ومن الفساد تحت عنوان الاصلاح الاقتصادي والمالي، محاصرة الشعوب اقتصاديًّا وتجويعها وجعلها مرتهنة لسياسات صندوق النقد الدولي... إلخ.

● **ثانيًا: آثار الفساد:** إهلاك الحرث والنسل وإذلال الناس:أتى ذكر الفساد في كتاب اللّه على نحوٍ مذمومٍ يبطل الصلاح ويستوجب الخذلان والعقاب. كما في قصّة موسى مع سحرة آل فرعون، إذ قال لهم موسى: ﴿**مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ ۖ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ**﴾[1]، حيث وصف موسى السحرة بالمفسدين؛ لأنّهم يمارسون الفساد وهو السحر في هذا الموضع.

كما ربط اللّه، تعالى، الفساد بالتوليّ، لأنّ الولي أو الحاكم الفاسد، يملك القدرة على نشر الفساد في الأرض بحكم سلطته وأدواته المتعدّدة. قال عزّ من قائل: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ**﴾[2]، ومن الجدير التوقّف عند هذه الآيات البيّنات التي وصّفت حال المنافقين المفسدين، إذ إنّهم من أكثر الناس انتشارًا في عالمنا، والناس هنا لا تنحصر في معنى الشخص المنفرد بل مصاديق هذه الفئة يمكن أن تشمل القوى والدول

1 - سورة يونس، الآية: 81.

2 - سـورة البقرة، الآيات: 204-206.

والتنظيمات التي تمتلك حكمًا وسلطةً وغيرها.

وبالعودة إلى سياق الآية، نقول: توجد فئة من الناس تظهر من الكلام والسلوك ما قد يحسن لدى السامع والرائي، إلّا أنّه مجرّد ظاهر غير مطابق للباطن، وهذا هو النفاق بعينه، كما لا تكتفي هذه الفئة بالادّعاء لكنّها تشهد اللّه على صدق ما يصدر عنها من كلامٍ أو سلوكٍ، إلّا أنّها في حقيقة الأمر أشدّ خصومةً للّه، بقرينة الفساد الذي يمارسونه في الأرض، أي أنّ وجه خصومتهم مع اللّه يكمن في فسادهم وإفسادهم في الأرض. والتوليّ عبارة عن امتلاك السلطان والحكم وزمام الأمور. أمّا فسادهم فيظهر من خلال اهلاك الحرث والنسل، والحرث هو النبات في إشارةٍ إلى ما تتغذّى عليه الطيور والحيوانات والإنسان، والنسل عبارة عن التوالد، وهما الركنان الأساسيّان لبقاء الحياة. فجاء الفساد في أعظم مظاهره في هذه الآية، إذْ عدّ ههنا القضاء على الحياة البشريّة والحيوانيّة والنباتيّة. والإفساد ههنا، يعني إخراج الأمور عن مواضعها، إذ إنّ اللّه, تعالى, خلق الكون ودبّر أموره من خلال السنن والتشريعات، فالعمل على تبديل السنن الإلهيّة وترك العمل بالشريعة يوجب اختلال التوازن الكونيّ المدبّر من قبل العليّ الحكيم. فالابتعاد عن الدّين القيّم والحكم بالأهواء والمصالح أي ترك الحكم بما أنزل اللّه يوجب هلاك الإنسانيّة، وهذا هو المسار الذي تسلكه القوى الاستكباريَّة العظمى بالبشريّة، ومصيره معروف وظاهر.

أمّا قوله ﴿**إِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ**﴾، يعني إذا ما أوعِزَ إلى أفرادهذه الفئة أن اتقوا اللّه، أي تنحّوا عن الإفساد وأصلحوا المسار المُهلِك الذي تتبعونه، أخذتهم العزّة بالإثم،

أي لم يسمعوا؛ لأنّهم يرون أنفسهم أرفع شأنًا من أن يوعزوا أو يعدّلوا خططهم ومناهجهم، وهذا الترفّع ناتج عن العزّة التي اكتسبوها بارتكابهم الآثام، أي أنّها عزّة ظاهريّة لا تسمن ولا تغني من جوع، فعاقبتهم في نهاية المطاف جهنّمُ وبئس المهادُ.

وفي سياق تعلّق الفساد والإفساد بالولاة والحكّام، جاء في القرآن على لسان ملكة سبأ: ﴿**إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ**﴾[1]، ولا ريب في أنّ كلّ ما ورد في القرآن هو كلام حقّ، إذ لو ورد كلام باطل على لسان الكفّار والمجرمين وغيرهم، فعادةً ما يعقّب عليه اللّه، تعالى، بكلامه الحقّ، وفي المنهج التفسيريّ ومنطق فهم القرآن، هناك منهج وقاعدة تفضي إلى أنّ ما تمّ ذكره على لسان إحدى الشخصيّات، وسكت عنه القرآن، أي لم يعقّب عليه بما يخالفه أو يحاجُّه، فهو حقّ. وطبقًا لهذه القاعدة يمكننا عدُّ ما ورد على لسان ملكة سبأ حقًّا.

وبالعودة إلى الآية المذكورة، الملوك هم من يملكون مقاليد الحكم والرياسة والسلطان، عندما يدخل هؤلاء قريةً، أي تجمّعًا أو دولةً أو بلدًا، يمارسون الفساد فيها، والفساد في هذا الموضع بمعنى التدمير والخراب، هذا الفساد مقرون بإذلال أهلها، أي استعبادهم والتنكيل بهم.

وأخيرًا، يمكننا القول: إنّ للفساد أوجهًا عديدة، وكلّها تصبّ في المعنى الأساسيّ وهو الخروج عن الاستقامة، وترك الصلاح الذي يؤدّي بطبيعة الحال إلى الهلاك الدنيوي والأخروي، إلّا أنّ عذاب الآخرة أشدّ وأبقى.

---

1 - سورة النمل، الآية: 34.

المبحث الخامس:
الظلمُ والإجرامُ والمكْرُ

● **أوّلًا: الظلم:**

الظلم وضع الأشـياء في غـير موضعها، كما يعبرّ الظلم عن مجـاوزة الحقّ، أي التعـدّي إلى حـدّ الباطل، قليـلًا كان التجاوز أو كثيراً، ولهذا يُسـتَعمَل في الذنب الصغير والكبير على حدٍّ سواء.

والظلم على ثلاثة أوجه:

الأوّل: ظلمٌ بين الإنسان وبين الله ،تعالى، وأعظمه الكفر والشرك والنفاق، ولذلك قال تعالى: ﴿**إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾[1].

الثاني: بين الإنسان وبين الناس والأشخاص المحيطين به، وهذا في قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ**﴾[2].

الثالث: ظلمٌ بينه وبين نفسه، وهذا معنى قول الله ،تعالى: ﴿**فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ**﴾[3].

والمعنى الذي نريده في هذا المبحث هو المعنى الثاني، أي ظلم الناس بعضهم بعضًا، ومن الآيات الأكثر وضوحًا في هذا المجال، ما ورد في سورة الشورى حيث قال عزّ اسمه: ﴿**وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ**

1 - سورة لقمان، الآية: 13.

2 - سورة الشورى، الآية: 42.

3 - سورة فاطر، الآية: 32.

* **إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾[1]، في هذه الآية إشارة إلى إباحة ردّ المظلمة من قبل المظلوم، بأن يعامل الظالم بالمثل، ويستردّ حقّه المغصوب، إنّما فضَّل الله ،تعالى، العفو والصفح لما له من أجرٍ وثوابٍ عائدٍ على المظلوم الذي يعفو ويصفح عن من ظلمه، واللّه لا يحبّ من يمارس الظلم ويغتصب حقوق الناس أو يسلب كرامتهم. وفي الآية الثانية تأكيد على جواز الاستنصار وردّ المظلمة التي تقع على المظلوم، وفي النهاية وعيدٌ وتهديدٌ للّذين يظلمون الناس ويهضمون حقوقهم، ونلاحظ اقتران الظلم بمصطلح «بغير الحقّ» وهذا تشديدٌ على أنّ ظلم الناس باطلٌ لا محال، وصاحبه لا بدّ له من العذاب الإلهيّ الأليم. كما نلاحظ الاقتران بين الظلم والبغي الذي تقدّم معناه (يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ).

● ثانيًا: المدن الاستكباريَّة الظالمة في المنطق القرآني:

فمن أبرز السياسات التي يستخدمها المستكبرون في الأرض ظلم الناس والتعدي على حقوقهم وسلبهم حقوقهم، وهناك الكثير من الآيات التي تتحدث عن ذلك، فقد وصف الله ،تعالى، بعض القرى - والقرى في المنطق القرآني هي بمنزلة الدولة في المنطق المعاصر- بـ «الظالم أهلها»، هذا الظلم الذي يؤدّي إلى تمنيّ المستضعفين الخروج من هذه القرية، قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا**﴾[2].

---

1 - سورة الشورى، الآيات: 40-42.

2 - سورة النساء، الآية: 75.

ووصف بعض القرى الأخرى بأنّها ظالمة، والمقصود هو ظلم أهلها أيضًا على تقدير حذف المضاف. قال تعالى: ﴿**وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ (11)**﴾[1].

وقال عزّ وجلّ: ﴿**فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ (45) ... وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ (48)**﴾[2].

وبهذا يتبيّن أنّه كان من السنن الإلهية بحق الدول الظالمة أن ينزل الله ،تعالى، عقوبته بهم. وقال تعالى: ﴿**وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ (78) فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ (79)**﴾[3].

وقد مارس كثير من الظَّالمين خلال التاريخ إخراج أهل الحقّ من أرضهم وديارهم كما فعل البريطانيون والحركات الصهيونيّة بإخراج الفلسطينيين من أرضهم، قال تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ**﴾[4]، فالمنطق الاستكباري يضع أهل الحقّ بين خيارين:

الأول: أن يكونوا جزءًا من أيديولوجيا الاستكبار وينخرطوا فيها وينتموا إليها.

والثاني: الإخراج من الأرض وتهجيرهم.

وهكذا وصف الله ،تعالى، قوم فرعون بأنّهم ظالمون لأنّهم يمارسون تلك

1 - سورة الأنبياء، الآية: 11.

2 - سورة الحج، الآيات: 45-48.

3 - سورة الحجر، الآيتان: 78-79.

4 - سورة إبراهيم، الآية: 13.

السياسات الاستكباريَّة بحق المؤمنين من بني إسرائيل: ﴿**وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالمين (10) قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ**﴾[1].

● **ثالثًا: الجرم:**

الجرم هو الذنب، والجريمة مثله، وجَرَمَ وأجرَمَ ارتكب أو اكتسب الإثم أو الذنب.

والجرم والإجرام في القرآن يأتي بمعنى الكفر أو الشرك أو ارتكاب المعاصي الكبار، وهو متلازم نوعًا ما مع الاستكبار، كما قال جلّ جلاله: ﴿**إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ * إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ**﴾[2]، إذ إنّ المستكبرين عن الحقّ، الجاحدين به هم المجرمون واقعًا. وكذلك تلازمه، أي الإجرام، مع التكذيب باليوم الآخر والجنّة والنار ﴿**هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ**﴾[3]، فالمستكبرون عن الإذعان بالحقّ وعبادته، لا بدّ لهم من التكذيب بيوم الدّين، إذ لا معنى للمعاد من دون وجود اللّه الواحد الأحد حسب اعتقادهم.

وقد نلاحظ تقابل المجرمين بالمتّقين، حيث جاء في سورة مريم: ﴿**يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا * وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا**﴾[4]، ونظرًا إلى ما ورد في الآية، يمكننا اعتبار التقوى في مقابل الإجرام، أي ضدًّا له.

ومن رحمة اللّه بعباده وحكمته في خلقه، أن فرّق بين سبيل المؤمنين وسبيل

1 - سورة الشعراء، الآيتان: 10-11.

2 - سورة الصافات، الآيتان: 34-35

3 - سورة الرحمن، الآية: 43.

4 - سورة مريم، الآيتان: 85-86.

المجرمين، وفصّل آياته لهم لكيلا يختلط عليهم الأمر فيسلكوا سبيل المجرمين الذي يودّي بهم إلى جهنّم، وفي هذا إشارة وتبيان: ﴿**وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ**﴾[1]. قال العلامة الطبطبائيّ في تفسير هذه الآية: «كذلك نشرح ونميّز المعارف الإلهيّة بعضها من بعض ونزيل ما يطرأ عليها من الإبهام لأغراض مهمَّة منها: أن تستبين سبيل المجرمين فيتجنبها الّذين يؤمنون بآياتنا، وعلى هذا فالمراد بسبيل المجرمين السبيل التي يسلكها المجرمون قبال الآيات الناطقة بتوحيد اللّه سبحانه والمعارف الحقّة التي تتعلّق به وهي سبيل الجحود والعناد والإعراض عن الآيات وكفران النعمة».[2]

ومن صفات المجرمين التي وردت في كتاب اللّه الحكيم، استهزاؤهم وسخريتهم من المؤمنين، كما جاء في قوله سبحانه وتعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ**﴾[3]. بل إنّ المجرمين لم يكتفوا بالاستهزاء بالمؤمنين، بل تخطوه فسخروا واستهزؤوا برسل الله ،تعالى، كما جاء في سورة الحجر حيث قال تعالى: ﴿**وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ * كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ**﴾[4].

● رابعًا: المكر:

أمّا المكر فهو صرف الغير عمّا يقصده بحيلة[5]، وهذا مكر المخلوقات أو البشر

1 - سورة الأنعام، الآية: 55.

2 - الطباطبائي، تفسير الميزان، ج7، ص106.

3 - سورة المطففين، الآية: 29.

4 - سورة الحجر، الآيتان: 11-12.

5 - الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص772.

وهو المكر المذموم، أمّ مكر اللّه الوارد في قوله تعالى: ﴿**وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ**﴾[1]، فهو مكرٌ لا شكّ أنّه محمود، إذ إنّ الذات الإلهيّة محض حقّ وخير، ولا يصدر عنها إلّا الخير. والمعنى في هذه الآية ردّ مكر الماكرين عليهم، وإفشاله والانتقام منهم.

لقد قرن اللّه ،عزّ اسمه، المكر بالإجرام، حيث قال: ﴿**وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ**﴾[2]، فالمجرمون هم أنفسهم من يمكرون بآيات اللّه، والمكر بآيات اللّه يعني السعي وكدّ الجهد من خلال التحايل وحبك المكائد بهدف إعاقة الدعوة النبوية ومحاولة صدّ البشر عن اتّباع الآيات، ولكن ليس بالأساليب المباشرة والمواجهة، بل بالحيل والأساليب المكّارة من أجل الحيلولة دون تحقيق آيات اللّه أهدافها المرجوّة في المجتمع، وهذا المكر لا يؤثّر في الدعوة الإلهيّة في شيء، إلّا أنّه يرتدّ عليهم بالفشل والخذلان والهوان، واللّه متمٌّ نوره ولو كره الكافرون.

كما قرنه سبحانه بالاستكبار، فقال: ﴿**اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ**﴾[3]، أيّ أنّ من استكبر عن الحقّ هو نفسه من يصطنع المكائد والحيل للصدّ عن سبيل الرحمن، إنّما لا يصيب ولا ينزل المكر السيء إلا بأهله ولا يستقرّ إلّا فيه، فإنّ المكر السيّء وإن كان ربما أصاب به مكروه للممكور به، لكنّه سيزول ولا يدوم إلّا أن أثره السيّء بما أنّه المكر سيّء يبقى في نفس الماكر

1 - سورة آل عمران، الآية: 54.

2 - سورة الأنعام، الآية: 123.

3 - سورة فاطر، الآية: 43.

وسيظهر فيه ويُجْزَى به إمّا في الدنيا وإمّا في الآخرة غير شكٍّ، ولهذا فسّر الآية في مجمع البيان بقوله: والمعنى لا ينزل جزاء المكر السيّء إلا بمن فعله.[1]

كما أنّ المكر من صفات الكافرين، الّذين يودّون أن يؤذوا الرسل أو يبطلوا دعواتهم، كما حاول كفّار قريش أن يفعلوا مع النبي محمّد (ص)، كما ورد في الآية 30 من سورة الأنفال، حيث قال تعالى: ﴿**وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ**﴾، إنّما محاولاتهم لسجن، أو قتل أو إخراج محمّد (ص)، كلّها باءت بالفشل وما كان سعيهم إلّا في ضلال.

لم يعِد اللّه الماكرين بالخذلان الدنيوي فقط، بل وعدهم وهدّدهم بالعذاب الأخروي أيضًا، فقال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ**﴾[2]

فالمكر من صفات الكافرين والمشركين، يستخدمونه أسلوبًا لمحاولة تحريف الكلام عن مواضعه والصدّ عن سبيل المهتدين، من أجل هدم المشروع الإلهيّ في الأرض، والّذي يتعارض مع مصالحهم وآمالهم، ولذا كان هذا ديدنهم في مواجهة الأنبياء والرّسل، إلّا أنّ مكرهم هذا لم ولن ينفعهم؛ لأنّ مكر اللّه أشدّ وأبقى. كما أنّ السّنن الإلهيّة تقضي بنصر المؤمنين على الكافرين وإتمام كلمة اللّه العليا في أرضه.

1 - الطباطبائي، تفسير الميزان، ج17، ص49.

2 - سورة فاطر، الآية: 10.

خلاصات ونتائج الفصل الأوّل:

يتضح مما تقدّم في مباحث هذا الفصل أمور عدّة ترتبط بالسياسات الاستكباريَّة في ضوء تحليل المفردات القرآنية التي تترابط فيما بينها في شبكة واحدة لترسم لنا معالم مفهوم الاستكبار بشكل واضح، منها:

توجد مفردات كثيرة في القرآن ترتبط بالاستكبار، منها: الاستعلاء، العتو، الطغيان، البغي، الظلم، الفساد، الإجرام، المكر، العناد، و...

من جملة السياسات الاستكباريَّة تكذيب الحقّ والامتناع عن قبوله على الرغم من وضوحه.

الاستكبار يتلازم مع استحقار الآخرين ومعاملتهم باستصغار ﴿**أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ**.

الاستكبار يتلازم مع تضخّم القوة ورؤية الذات أشد قوة من الآخرين ﴿**وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً**﴾.

أن الضعفاء هم الذين يخضعون للمستكبرين بإرادتهم فيعدّون جزءًا من المنظومة العامّة التي تخدم المستكبرين بل هم أدوات وجنود للاستكبار.

المستضعفون المظلومون هم المقاومون للاستكبار وإن كانوا واقعين تحت حكم المستكبرين لكنهم نالوا ما نالوه من التعذيب والتنكيل بسبب معارضتهم ومخالفتهم لهم.

من السياسات الاستعلاء ادّعاء الربوبيّة التشريعيّة بمعنى أنّ المستعلي يرى لنفسه حقّ التقنين والتشريع والحكم بمعزل عن القانون الإلهي ﴿**أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى**﴾.

من السياسات الاستعلائيَّة التفريق بين الناس وبث الفتن بين الشعوب وتمزيقهم ﴿**إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا**﴾.

من السياسات الاستعلائيَّة والاستكباريَّة ممارسة العنف ضد الآخرين ﴿**يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ**﴾.

من السياسات الاستكباريَّة العُتوّ والترفع عن طاعة الأوامر الإلهية بل طاعة أي قانون من القوانين حتى تلك التي ألزم المستعلي والعاتي نفسه بها، (**لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا**﴾، ﴿**وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ * فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ**﴾ .

من السياسات الاستكباريَّة الطغيان وتجاوز الحدّ في الفساد والإفراط فيه ﴿**قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ**﴾، والذي يستلزم تكذيب الحق والتنكّر له ﴿**كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا**﴾.

من السياسات الاستكباريَّة البغي وتجاوز حدّ الاعتدال والتعدّي إلى حدّ الإفراط في الكميّة أو الكيفيّة، ﴿**وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ**﴾، ﴿**إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ**﴾...

من السياسات الاستكباريَّة هو الإفساد تحت شعار الإصلاح.

سياسات الإفساد تؤدي إلى إهلاك الحرث وتدمير الثروات وإهلاك النسل وإذلال الناس ﴿**وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ**﴾، ﴿**إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ**﴾.

من السياسات الاستكباريَّة الظلم وسلب الآخرين حقوقهم المشروعة، وما يترتب عليه من إخراج الناس من أرضهم وخيراتهم وثرواتهم،﴿**وَقَالَ**

الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾.

من السياسات الاستكباريَّة الإجرام، **﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ * إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾**.

من السياسات الإجراميّة الاستهزاء من أهل الحقّ والسخريّة بهم **﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾**..

من السياسات الإجراميّة المكر والخديعة وصناعة المكائد والوصول إلى الأهداف بكل الحيل تحت شعار أن الغاية تبرر الوسيلة فيقتلون ويخرجون أهل الحق من أوطانهم، ويصد ون أهل الحق عن تحقيق أهدافهم المشروعة **﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا﴾**، **(اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ﴾**، **﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ﴾**.

من السياسات الاستكباريَّة تحريف الكلام وتزوير الحقائق وتشويه الوقائع.

... إلخ من السياسات الاستكباريَّة والاستعلائيَّة التي ستظهر خلال الفصول والمباحث وسنعالجها بشكل أعمق من خلال تسليط الضوء على التطبيقات المعاصرة أيضًا.

الفصل الثاني:

الاستكبارُ العالميّ والسيطرةُ على عالم الأفكار والحقائق

المبحث الأوّل:
سياسةُ تشويه الوقائع وتزوير الحقائق
(يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ)

● **أوّلًا: المستكبرون وسياسة التحريف والتزوير:**

تقدّم في الفصل الأول أنّ من سياسات المستكبرين هو تحريف الوقائع وتزوير الحقائق، فمن المعلوم أنّ من دأب المستكبرين التحريف والافتراء على أهل الحقّ، بهدف الصدّ عنه وإبطاله، ليفسحوا المجال أمام طغيانهم وفسادهم، ويحافظوا على السلطة والجاه، ﴿**إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ**﴾[1]، والواضح من سياق الآيات القرآنيّة عن هذه الفئة أنّ كذبها نابعٌ عن سبق إصرار وعلم وتخطيط، كما هو حال استكبار اليهود على الحقّ فيقول تعالى في حقّهم: ﴿**وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا (45) مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ**﴾[2]، ويقول عزّ وجلّ: ﴿**فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ**﴾[3]، ﴿**أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾[4]،

---

1 - سورة النحل، الآيات: 103-105.

2 - سورة النساء، الآيتان: 45-46.

3 - سورة المائدة، الآية: 13.

4 - سورة البقرة، الآية: 75.

أي أنّ اليهود بعد علمهم وتعقّلهم كلام اللّه الوارد في التوراة الذي يبشّر ببعثة محمّد (ص)، أصرّوا على التزوير والتحريف، وأنكروا الحقّ على الرغم من معرفتهم به، فهو تحريف عن معرفة وعلم.

فمن سياسات اليهود الاستكباريَّة هي تحريف الحقائق وتشويه الوقائع وتزويرها.

وبالنظر إلى أيّامنا الحاليّة وواقعنا، نلاحظ أنّ أدوات ووسائل الكذب والتزوير تكثّرت وتعدّدت، وذلك راجعٌ إلى العولمة ونفوذ وسائل الإعلام العابر للقارّات. تُعتَبَر وسائل الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعيّ من أبرز أدوات تمرير الأخبار الكاذبة وتزوير الحقائق، إذْ إنّها منتشرة بشكلٍ كبيرٍ، وقادرة على التأثير على جميع أفراد المجتمعات، حيث إنّ شاشات التلفزة موجودة في كلّ بيت، والهواتف المحمولة والأجهزة الذكيّة في متناول يد الجميع، بمختلف أعمارهم، وخلفياتهم، ومستوياتهم الثقافيّة، والفكريّة.

- **ثانيًا: تحريف الوقائع وتزوير الحقائق في طوفان الأقصى:**

المثال الجليّ عن تشويه الوقائع، هو ما جرى في الأحداث الأخيرة في غزّة، أي أحداث 7 أوكتوبر، حين كسر مجاهدو غزّة الأسوار، وخرجوا إلى أراضيهم المحتلّة، وهاجموا الثكنات والمراكز العسكريّة، متمسّكين بحقّهم في المقاومة واسترداد أراضيهم المُغتَصَبة.

كان فعل المقاومة يوم 7 اوكتوبر، وغزوها للمستوطنات الصهيونيّة بمثابة الفاجعة والطّامة الكبرى بالنسبة للكيان المحتلّ ورعاته الغربيّين، فما كان منهم إلا العمل على محاولة تشويه الحدث وشيطنته، وذلك خلال ادّعاءاتهم

بـأنّ المقاومة ذبّحـت الأطفال واغتصبت النسـاء، محاولين بذلك تشـبيهها بـ«داعـش»، التي صنعوها للاسـتفادة منها في مثل هـذه الأحداث، وزجّ كلّ الحركات الإسلاميّة المناهضة للسياسات الصهيو-أمريكيّة في خانة «داعش».

وفي هذا السياق لا بدّ لنا من إلقاء نظرة على الإعلام الغربيّ وما جاء فيه من ادّعاءاتٍ لا يتبعها دليلٌ ولا برهانٌ، فيما يخصّ أحداث السابع من أوكتوبر:

اغتصاب النساء:

جاء في بعض التقارير الغربيّة: «كشف تحقيق أجرته صحيفة التايمز لمدة شهرين عن تفاصيل جديدة مؤلمة، أثبتت أنَّ الهجمات ضد النساء لم تكن أحداثًا معزولةً، ولكنَّها جزء من نمط أوسـع مـن العنف القائم على النوع الاجتماعي في 7 أكتوبر.

وبالاعتماد على لقطات الفيديو والصور الفوتوغرافية وبيانات نظام تحديد المواقع العالميّ (GPS) مـن الهواتف المحمولة والمقابلات مع أكثر من 150 شـخصًا، بما في ذلك شـهود وعاملون طبّيون وجنود ومستشـارون في مجـال الاغتصاب، حدّدت التايمز ما لا يقل عن سـبعة مواقع يبدو أن النساء والفتيات الإسرائيليات تعرضن فيها للاعتداء الجنسيّ.»[1]

وهذا ليس إلا تحريفًا وتشـويهًا وتزويـرًا!!! طبعًا، نحن لا نعلم لماذا لم تعـرض صحيفة التايمز تلـك الصور والفيديوهات التـي حصلت عليها،

1 - «صرخـات بـلا كلمات»: كيف اسـتخدمت حماس العنف الجنسي كسـلاح في 7 أكتوبر/تشرين الأول - Middle East Transparent

والتي توثّق الاعتداء الجنسيّ الذي تعرّضت له النسـاء، بل لا نعلم من هم الأطبّـاء ولا المستشـارون الّذين أجرت مقابلات معهـم، وعلى فرض أنّنا عرفنا من هم، فهل شـهادة هؤلاء الصهاينة الّذين لا ريب في تماهيهم مع السرديّة الإسرائيليّة تعدُّ دليلاً؟! وكأنّ صحيفة التايمز العالميّة يجب عليها أن تخضع لدوراتٍ إعلاميّة بدائيّة!

تقطيع رؤوس الأطفال:

جـاء في تقرير آخر: «كانت مراسـلة i24NEWS الإنجليزيّة في إسرائيل، نيكول تسـيديك، مـن أوائل الّذيـن زعموا أنَّ حـوالي «40 طفلاً مقطوع الرأس» في كيبوتس كفار عزّة، جنوب إسرائيل، خلال تقريرها الذي زعمت فيه أيضًا أنَّ قوّات الجيش الإسرائيليّ ما زالت تنتشل الجثث من المنازل.

وكانت تسيديك بالقرب من الحدود الإسرائيليّة مع غزة حينما زعمت أنّه تمّ إخراج حوالي 40 طفلاً على نقّالات، وقالت:نّها استندت في معلوماتها على ما قاله أحد القادة الإسرائيليّين."[1]

إلّا أنّ هـذه المزاعم لم تـدم طويلاً، بل قد يكذب أهـل الباطل بعضهم بعضًا لأهداف خاصة، فجاء تكذيبها على يد الإسرائيليّين أنفسـهم، حيث فنّـدت صحيفة هآرتس العبريّة مـا روّجته تل أبيب عن مزاعم قطع رؤوس أطفال إسرائيليّين وحرق جثثهم في هجوم حركة حماس على مسـتوطنات

1 - مـن كان وراء الادِّعـاء الـكاذب بـأنَّ حـماس تقطـع رؤوس الأطفـال؟ | البوابـة (albawaba.com)

غلاف غـزة في 7 أكتوبر/تشريـن الأول الماضي، مؤكّـدةً أنّ تلك الرواية غير صحيحة ولا أسـاس لها في الواقع. وتناول تحقيق الصحيفة الروايات التي روجتها مؤسّسات حكوميّة ومسؤولون كبار في إسرائيل منذ 7 أكتوبر. وقالت: إنّ ما جرى في ذلك اليوم أدّى إلى انتشار قصص رعب لم يحدث أيّ منها على أرض الواقع.»[1].

● **ثالثًا: تحريف السلطات الإسرائيليّة للحقائق في الحرب على غزة:**
لم تنتـه أكذوبات السـلطات الإسرائيليّة في يـوم 7 أكتوبر، بل تواصلت وامتدّت إلى حربها الشعواء التي تشنّها على غزّة، وذلك استكمالاً لنهجها وتاريخهـا المجبول والقائم على الدجل. فكانت قوّات الاحتلال تظهر لنا بعد كلّ مجزرةٍ ترتكبها في القطاع محاولةً تبرير أفعالها الشـنيعة، باللّجوء إلى تزويـر الوقائع وتشـويه الحقائق. وفيما يلي، سـنعرض نموذجين من سلوك إسرائيل في الافتراء والكذب وتبرير جرائمها:

مجزرة مستشفى الأهلي العربيّ (المعمدانيّ):
هي مجزرةٌ ارتكبها سـلاح الجوّ الإسرائيليّ حينما أغارَ على المستشـفى الأهلي العربيّ «المعمدانيّ» في حيّ الزيتون جنوب مدينة غزّة في ساعات اللّيل الأولى من يوم السـابع عشر من أكتوبر (تشرين الأول) 2023، ذلك

1 - تحقيـق إسرائيـلي: حـماس لم تقطع رؤوس الأطفـال ونتنياهو كـذب على بايدن وبلينكن | أخبار | الجزيرة نت (aljazeera.net)

الاستهداف الذي أدّى إلى استشهاد أكثر من 500 شخص فلسطينيّ في ليلةٍ واحدةٍ.

وجاءت التبريرات الإسرائيليّة متخبّطة بعد تلك المجزرة، إذْ أعلن حنانيا نفتالي، مساعد الشّؤون الرقْميّة لرئيس الوزراء الإسرائيليّ بنيامين نتنياهو، في البداية أنّ القوّات الجويّة الإسرائيليّة قصفت قاعدة إرهابيّة لحماس داخل مستشفى في غزة، ولقي عدد كبير من الإرهابيين حتفهم، حسب قوله، ثم غيّر لاحقًا روايته ووصف الانفجار بأنّه "غامض" سببه "إمّا صاروخ فاشل" وإمّا "شيء تمّ القيام به عمدًا للحصول على دعم دوليّ". وعندما ردّت إسرائيل رسميًّا أنكرت مسؤوليّتها عن الهجوم، وحاولت إلقاء اللّوم على صاروخ أُطلق على نحوٍ خاطئٍ من قبل حركة الجهاد الإسلاميّ الفلسطينيّة.[1]

مذبحة شارع الرشيد أو ما عُرِف باسم مجزرة الطحين الأحمر:

وهي المذبحة التي ارتكبها جيش الاحتلال في التاسع والعشرين من يناير (شباط) في شارع الرشيد على دوّار النابلسيّ، بحقّ المدنيّين الّذين كانوا يتجمهرون للحصول على المساعدات الغذائيّة وأكياس الطحين، بعد الحصار والتجويع الذي فرضه الاحتلال الصهيونيّ، أدّى هذا الاستهداف إلى سقوط 104 من الشهداء وأكثر من 700 جريح ومصاب.

1 - ميدل إيست آي: لإسرائيل تاريخ طويل في الادعاءات الكاذبة | سياسة | الجزيرة نت (aljazeera.net)

نقــل إعلامٌ عــبريٌ بدايةً أنّ الجيــش أجــرى تحقيقًا أوّليًّــا أظهر اقتراب فلسطينيّين من إحدى آليّاته، ما دفع الجنود لإطلاق النّار، ممّا أدّى إلى مقتل عشرة بحســب قوّات الاحتلال، أمّ العشرات الآخرون بين شهيدٍ وجريحٍ، فقــال الاحتــلال: إنّ التدافع أفــضى إلى هذا العدد مــن الإصابات. بضع ســاعاتٍ وينشر الجيش مقطعًا مصوّرًا من مسيرّةٍ تابعةٍ له، لا يُظهِرُ المقطع أيّ تدافــعٍ بين الفلســطينيّين، وينقطع التصوير قبل بــدء الجنود والآليات بإطــلاق النّار نحو المدنيّين. إلّا أنّ مقطعًا مصوّرًا من قبل المواطنين يُظهِرُ لحظة إطلاق النار تجاههم، وتسمع زخّات الرصاص في خلفية الفيديو.[1]

هذه النماذج التي عرضناها لا تشــكّل إلّا قطــرةً في بحر الزيف والتزوير الاســتكباريِّ الإسرائيليِّ والغربيّ، الممتدّ عبر عصور وسنوات الاستعمار الطويلة، واللّبيب تكفيه الإشارة ليعرف الكثير.

1 - تضارب روايات جيش الاحتلال عن مجزرة شارع الرشيد بغزة | أخبار | الجزيرة نت (aljazeera.net)

المبحث الثاني:

سياسةُ إنكار الحقّ الواضح
(وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وأَبَىٰ)

● **أوّلًا: المستكبرون وإنكار الحقّ الواضح:**

كنّا قد أشرنا في الفصل الأوّل إشارة واضحةٍ إلى معنى الاستكبار ومظاهره في القــرآن الكريم، ومن الصفات الملازمة للاســتكبارالتي تعدُّ واحدة من السياســات العامّة التي يستخدمها المســتكبرون في الحياة، هي التكذيب والجحــود، أي نفــي ما في القلب إثباته[1]، أي إنــكار ما يوقنه الجاحد في نفسه، فالمســتكبرون ينكرون الحقّ على الرغم من وضوحه، ويعارضونه على الرغم من إيقانهم من أنّه هو الحقّ ولو من وجهة نظرهم، وليس ذلك إلّا لأنّه يتعارض مع مصالحهم ومنافعهم الخاصّة.

فالجحود وإنكار الحقّ الواضح سنّة المستكبرين، فموسى، عليه السلام، آتاه ربّه تسع آياتٍ بيّنات، ليذهب إلى فرعون ويدعوه إلى الحقّ، وقد رأى فرعون الحقّ بأمّ عينه ولم يخفَ عليه، لأنّ الله ،تعالى، يصف ما جاء به موسى إلى فرعون بأنّه الآية الكبرى﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ﴾[2]، ويصفها في موضع آخر بآياتنا كلّها ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ﴾[3]،

1 - الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن الكريم، ص187.

2 - سورة النازعات، الآية: 20.

3 - سورة طه، الآية: 57.

لكنه كذَّب وعصى وأبى واستكبر عن قبول الحقّ على الرغم من معاينته للآيات التي جاءه بها موسى -كالعصا، واليد، والسنين، والبحر، والطوفان والجراد، والقُمَّل، والضفادع، والدّم- ولم يكتف بذلك، ثم أدبر يحوك المؤامرات والمكائد، ﴿**فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى *...* فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ**﴾[1]، فهل كلّ تلك الآيات والمعجزات لم تكن كافية لتصديق موسى؟! ولكنّها لا تعمى الأبصار وإنّما تعمى القلوب التي في الصدّور.

فالتكذيب والجحود هو صفة ملازمة للمستكبرين الكافرين بالحقّ، ﴿**وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ**﴾[2].

ثانيًا: تطبيق المستكبرين سياسة إنكار الحقّ الواضح في واقعنا المعاصر:

بالانتقال إلى واقعنا المعاصر، نرى التكذيب والجحود بأبهى صوره لدى قوى العالم الغربي من أوروبا وأمريكا وإسرائيل وغيرها، تلك القوى التي لا تتردّد في إنكار الحقّ التي تراه بأمّ عينها.

ويظهر جحودها جليّا في القضيّة الفلسطينيّة على سبيل المثال، حيث إنّ تلك الدول، كألمانيا وبريطانيا وأمريكا، تعلم جيّدًا أنْ لا وجود لما يسمّى «دولـة إسرائيـل» قبل العام 1948، إذ إنّها هي من صنعتها بنفسـها، وذلك بعد الحـرب العالميّة الأولى من خلال المبادرة التي أطلقها وزير خارجيّة المملكة المتّحدة آرثر بلفور، تلك المبادرة التي تفضي إلى تأسيس «وطن

1 - سورة طه، الآيات: 60-64.

2 - سورة العنكبوت، الآية: 47.

قومـيّ لليهود»، هذه المبادرة التي جاءت بعد أعوامٍ وأعوامٍ من التخطيط. فدولـة إسرائيل المزعومـة لم يكن لها وجود عـام 1947، إلّا أنّ المجتمع الدولي يعترف بها كدولة شرعيّة تحظى باحترام وعلاقات دوليّة مميّزة. ولا تكاد تجـد دولةً غربيّةً واحدةً تصفها بدولة احتلال مع أنّها تأسّسـت على أراضٍ فلسطينيّةٍ تمّ طرد وتهجير أهلها منها، وسرقة ممتلكاتهم؟!

إنّ عملية تأسيس «دولة إسرائيل» كانت بإشراف ودعم من الدول الغربيّة، فكيف لهـم ألا يعلموا أنّها احتلّت أراضيَ ودمّرت وشرّدت شـعوبًا؟! بل يعلمون علم اليقين، إلّا أنّهم لا سـبيل لهـم إلّا الجحود وإنكار الحقّ من أجل الحفاظ على ربيبتهم في الشرق الأوسط.

ولو تجاوزنا كلّ ذلك، وسـلّمنا جـدلًا بأنّ إسرائيل أصبحت دولة باعتبار الأمر الواقع، ولكنّ لا ينكر أحد من تلك الدول أنّها تحتل إلى الآن أراضٍ فلسـطينية في ضوء رؤيتهم الجديدة، وأنّها تعامل الفلسطينيّين بأبشع أنواع المعاملـة من القتل والتنكيل والاعتقال والحصـار والاحتقار والعزل و... ونحـن الآن نعيش في أجـواء الحرب الإسرائيليّة الوحشـيّة على غزة التي ذهـب ضحيتهـا آلاف الأطفال والنسـاء والشـيوخ، كلّ ذلـك على مرأى ومسـمع من أمريـكا والدول الأوروبيّة، ولكن كيف تتصرّف أمام وحشـيّة إسرائيـل الجليَّـة والواضحة؟! إنها تنكـر الحقّ، فظاهـرة الجحود الأكثر حداثةً، تكمن في هذه المجزرة الجارية في غزّة حاليًا، حيث يمارس جيش الاحتلال أفظع الجرائم وأبشـعها بحقّ سكان غزّة، هذه الجرائم التي ترقى ليـس فقـط إلى الإبادة الجماعيّة، بل لو كان هنـاك وصف أكثر تعبيراً عن الواقع لتمّ استخدامه.

وأمَّا ما يسمى المجتمع الدوليّ، المنافق، فيكتفي بالطلب السلميّ والرجاء من إسرائيل أن تخفّف عدد الضحايا في عملياتها العسكريّة، نعم «تخفّف»، وليس «توقف». وأمريكا لا ترى الإبادة الجماعيّة، وهذا ما عبرّ عنه المتحدّث باسم مجلس الأمن القوميّ الأمريكيّ جون كيربي، قائلاً: «نحن لم نر أي دليل يثبت المزاعم حول نيّة ارتكاب الإبادة الجماعيّة أو أي أعمال من هذا القبيل من جانب الجيش الإسرائيلي ولا توجد لدينا أدلّة على أنّ هذا يحدث، ولا توجد لدينا أدلّة على أنّهم يحاولون إبادة الشعب في غزّة بشكل متعمد».[1]

نعم، كل مشاهد القتل والدمار وأشلاء الأطفال والنساء التي تُبَثُّ يوميًّا من غزّة على جميع وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعيّ، لم تشكّل دليلاً على الابادة الجماعيّة المرتكبة من قبل جيش الاحتلال. وهل هناك مثلٌ أوضح من هذا على الجحود على الرغم من وضوح الحقّ؟!

فهؤلاء حالهم كحال فرعون، فقد أراه موسى الآيات الكبرى، والآيات كلّها، لكنه كذّب وأبى واستكبر وأدبر يسعى ويكيد ويمكر، وأمريكا ومن يقف في صفها، تكذّب الوقائع، وتنكر الحقائق، على الرغم من الأدلة الكبرى، وعلى الرغم من الأدلة كلها، بل أكثر من ذلك، كما كان يفعل فرعون، تدير ظهرها للحقيقة، وتسعى إلى تدبير المكائد والحيل ضد الشعب الفلسطيني وسكان غزة والقضية الفلسطينية عامّة.

1 - واشنطن: لم نر أي دليل على ارتكاب إسرائيل إبادة جماعية - RT Arabic

المبحث الثالث:

الاستبدادُ الفكريّ واحتكارُ المعرفة (مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ)

● **أوّلًا: الاستكبار والشعور بالقبض على الحقيقة والمعرفة:**

يمتاز المستكبرون والطغاة بتعنّتهم ويظنون أنّهم قابضون على الحقيقة والمعرفة، هذا الظنّ الذي يؤدّي بهم إلى تصدير معارفهم وعلومهم إلى الشعوب المستضعَّفة وإقناعهم بأنّ هذه الحقائق والمعارف مطابقة تمامًا للواقع ومصيبة في جميع ما تصل إليه. والاستبداد الفكري هو الانفراد والاستئثار بالعلوّم والمعارف، ورفض أيِّ مشاركة من الآخرين في صناعة الرأي أو الفكر.

قال فرعون لقومه: ﴿**مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ**﴾[1]، أي منع فرعون على قومه التفكير، وأعماهم عن رؤية الواقع، بل أغشاهم عن رؤية الحقيقة وفرض عليهم رؤيته الخاصّة، وأقنعهم بأنّ هذه الرؤية هي التي تضمن لهم سبيل الرشاد والخير.

● **ثانيًا: نماذج معاصرة من احتكار المعرفة والاستبداد الفكريّ:**

وهذه حال شعوبنا مع «القوى العظمى»، التي تستأثر بالعلوم والرؤى وتقنع شعوبنا أن هذه هي السبيل الوحيدة للبشريّة، حالهم حال فرعون:

1 - سورة غافر، الآية: 29.

(مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ)، لتحوّلنا إلى مجتمعات مستهلكة للفكر والمعرفة، وتكون هي المجتمعات المركزيّة القابضة على صناعة الفكر والمعرفة، ونحن ليس دورنا إلّا استهلاك سلعهم الفكريّة والمعرفية من دون أن يكون لنا أي دور في صناعتها وإنتاجها، فواحدة من مشكلات الغرب مع البرنامج النووي الإيراني لا يكمن في خطر صناعة القنبلة النووية، بل في شعور الغرب بأنّ إيران تسعى إلى الاستقلال العلمي والمعرفي، وبذلك تفك ارتباطها بالغرب من هذه الناحية, ولا يكون لها تبعية للغرب علميًّا ومعرفيًّا، فالغرب يحرص على احتكار صناعة العلم وإنتاج المعرفة؛ كي تبقى كل الدول الأخرى رهينة له وغير مستقلة وتابعة ومحتاجة إلى استيراد المعارف والعلوم منه، فمن قبض على المعرفة قبض على العقول والخيارات وأنماط الحياة و... ولذا يعدُّ بناء الاقتدار المعرفي والاستقلال العلميّ من أهم الأمور المستفزَّة للعقل الغربي المستكبر.

وكالة ناسا:

مظهر الاستئثار الفكريّ الأكثر وضوحًا، يكمن في وكالة «ناسا» للفضاء، وهي وكالة أمريكيّة تنفرد بمجال البحث الفضائيّ وعلم الكواكب والأقمار والنجوم وغيرها، تلك الوكالة التي تعدُّ مرجعًا لأي شخص يريد أن يراجع أي معلومة أو دراسة حول الفضاء. تبثّ «ناسا» آلاف الدراسات والأبحاث سنويًّا، تلك الأبحاث التي تعامَل معاملة الحقيقة العلميّة الثابتة والراسخة، من دون أي مراجعة أو تدقيق. نعم، نحن لا ندّعي أن كلّ ما تبثّه الوكالة من معلومات هو حتمًا مغلوط أو مزوّر أو مفبرك، لكنّ الجمهور يجب عليه

امتلاك الوعي الكافي الّذي من شـأنه أن يموضع تلك المعلومات في بابة الشـكّ، أي لا ينفي ولا يثبت ما لم يعاينه بنفسه. فسياسة الحقيقة المطلقة التي تتّبعها «ناسا» وغيرها من المراكز العلميّة، لم تأتِ بين ليلةٍ وضحاها، بل خلال سنين طوال من السيطرة على المعرفة البشريّة واحتلال العقول.

الاستشراق:

الاسـتشراق عبـارة عن الأبحاث والدراسـات التي يجريهـا الغربيّون، و تتنـاول الثقافـة الشرقيّة والتراث الإسـلاميّ، والفنّ والسياسـة والاقتصاد الإسلاميّ الشرقيّ.

العقل الغربيّ، ينظر إلى الشرقيين نظرة اسـتعلاءٍ، ويرى أنّه العقل المفكّر القادر على تصحيح المفاهيم الإسلاميّة بطريقةٍ علميّة عقلانيّة، كما يحاول تلقـين العقل العربيّ الطفوليّ العاطفيّ، هذه العلـوم التي ظفر بها. فمثلاً يـرى الغربيّ أنّ محمّدًا (ص) شـخص عاديّ، إنّما المسـلمون يتأثّرون به عاطفيًّا لأنّهم يعتقدون أنّه نبيّهم المعصوم، فهو القادر الوحيد على دراسـة وتقييم تصرّفات "محمّد" موضوعيًّا، بعيدًا عن العاطفة.

حاز الاسـتشراق على اهتمام الغربيّين على نحو كبير إلى أن انتشر قسـم الاسـتشراق في غالبيـة الجامعـات الأوروبيّة، بل تمّ تأسـيس العديد من المعاهد المختصّة فيه، وقد بلغ عدد هذه الأقسام الإسلاميّة في الجامعات الغربيّة أكثر من سـتين قسـمًا في أكثر من سـتين جامعة في الغرب، على رأس الأقسـام أسـاتذة يهود، ومحاورهم الأصليّة تدور في كياسـة حول التشكيك في الوحي، والنبوة، والقرآن، والسنّة النبوية، والتاريخ الإسلاميّ،

والعقائد، والشريعة و...[1]

ثمّ إنّ المستشرقين لا يبثّون آراءهم من خلال التدريس من خلال كراسي الاستشراق في جامعات الغرب فقط، بل يأتون كذلك للتدّريس والمحاضرة في الجامعات الموجودة في البلاد الإسلاميّة والعربيّة، وخاصّة الجامعات غير الحكوميّة؛ مثل: الجامعة الأمريكيّة في القاهرة وبيروت، وغيرهما من عواصم إسلاميّة وعربيّة أخرى، كما أنّهم يُستقدمون بين الحين والآخر؛ ليحاضروا في بعض الجامعات الوطنيّة في البلاد الإسلاميّة.[2]

وهل يمكن للاستبداد الفكريّ أن يكون أوضح من أن تتعدّى الدول الغربيّة على ثقافتنا وتقنعنا بما ترى هي، بل وتعلّمنا كيف يجب أن نعيش, وماذا يجب أن نصدّق أو لا نصدّق من تراث ديننا وتاريخنا الممتدّ عبر العصور؟!

الأنثروبولوجيا:

تتكون كلمة أنثربولوجيا من مقطعين، الأول هو Anthropo ويعني الإنسان، والثاني logy هو العلم، وهذا يعني أن الأنثربولوجيا هي "علم الإنسان"، ويقوم هذا العلم بدراسة كل ما يخص الإنسان من أعمال فكريّة ومادّيّة، كما يدرس الأشكال الأولى للإنسان ومراحل تطوّره البنائيّ بكل الحقب الزمنية وكل الحضارات الإنسانيّة.

1 - محمد الجابري، الاستشراق وجه الاستعمار الفكري، ص69.

2 - الجندي، الوجه الآخر لطه حسين، ص9.

ويقوم علم الأنثربولوجيا على دراسة الإنسان من ناحية كونه كائنًا بيولوجيًّا له خصائص وصفات جسميّة، وله سلوكيّات في تناوله للطعام والشراب, و كيف يحيا الإنسان حياته، ومن ناحية أخرى يقوم بدراسة الإنسان بكونه كائنًا اجتماعيًّا يعيش في مجتمع له عادات، وتقاليد ونظام وثقافة.

أينما يحيا الإنسان يتولد له ثقافة، ويبدأ بابتكار أساليب للعثور على الطعام، ويبدأ في تقسيم عمله، ويبدأ في التطور حتى ينشئ التنظيمات الاجتماعيّة والسياسيّة الخاصّة بمجتمعه، كما يبدأ بممارسة معتقداته وطقوسه الدينيّة، ويتواصل مع جماعته بلغة منطوقة يتم التعارف عليها في مجتمعه، ويستمر في التطوّر والتغيّر من جيل لآخر، وهذا ما تُعنَى الأنثربولوجيا بدراسته[1].

إلّا أنّ الإنسان الغربيّ أبى أن يدرس الإنسان بموضوعيّة وحياد، بل لجأ إلى دراسة الكائن اللّاغربيّ على أساس أنّه إنسان بدائيّ، يحتاج في حياته ومعيشته وبنائه الحضاريّ إلى الرجل الأبيض. وهكذا استغلّ الغرب هذا العلم في سبيل اللّعب بعقول الشعوب الأخرى، وتكوين صورة مغلوطة عنها وطبعها في العقول، أي رسم الصورة التي يريد لها أن تترسّخ في مخيال الإنسان المشرقيّ -مثلاً- عن نفسه، وبعبارةٍ أخرى يرى الرجل الأبيض أنّه قادر على إدراك النفس الشرقيّة أكثر من ذاتها.

إنّ تصدير فكرة عن مجتمعٍ ما والعمل على إقناع أفراده بأنّها حقيقةً

1 - انظر للتفصيل، مرتضى، الأنثروبولوجيا في سياقها التأسيسي، من التوظيف الاستعماري إلى العسكرة، صص (35-58).

مطلقةً، سـوف تؤدّي بعد أعـوامٍ من التخطيط الممنهج إلى رسـوخ تلك الفكـرة في نفس الفرد وذهنه ، بل وتصبح موجودة فعليًا في أعماقه. فعلى سـبيل المثـال، لو أنّ والدًا عمل على إطلاق صفة مـا على ابنه، وما انفكّ يكرّر إطلاق تلك الصفة عليه، سـيتمكّن في نهايـة الأمر من إقناع ابنه بأنّه كذلك فعلاً، بل سـيكون قـادرًا على زرع وخلق تلـك الصفة في أعماقه، وكذلك حال الشـعوب التي ترى نفسـها كما يُراد لها أن ترى، ستقتنع في نهاية الأمر بالرؤية الغربيّة، بل وتتلبّس بها أيضًا!

توظيف مراكز البحث العلمي لخدمة السياسات الرأسماليّة:

تعمل مراكز الأبحاث العلميّة على إجراء تجارب علميّة تخلص إلى نتائج معيّنـة، من ثَمّ تنشر هذه المراكز نتائجها وتصدّرهـا للعالم. تتمركز غالبيّة هـذه المراكـز في دول العالم الغربيّ، حيث تحظـى بالدعم والتمويل من الدول الكبرى، حيث إنّ الدراسـات التي تجريهـا تتطلّب تمويلاً ضخمًا نوعًـا ما. هـذا التمويل الـذي يُخضِع تلـك المراكز في الأعـمّ الأغلب، ويجبرها على التّماهي مع سياسة الحكومات المموّلة. هذا التماهي يؤدي في أحيان عدّة إلى نشر الدراسات والنتائج الكاذبة أو غير المطابقة للواقع، أو إخفاء النتائج التي لا تخدم مصالح هذه الدول على أحسن تقدير.

كما أنّ الشركات المتعدّدة الجنسـيات تلعب دورًا هامًّا في هذا المجال، أي الترويـج لمنتجاتها عبر فبركة الدراسـات ونشر النتائج المغلوطة، فقد ورد في كتاب "تجارة الشكّ" للكاتب "نعومي أورسكس" أنّ شركات التبغ الكبرى عملت على رِشوة(20679)عالمًا وطبيبًا، من أجل تزوير الأبحاث

العلميّـة، والخلـوص إلى نتيجة تهدم أي علاقة بـين السرطان والتدخين، وذلك في السـتينيّات والسـبعينيّات من القرن الماضي، فتضاعفت حينها أرباح شركات التبغ تضاعفًا ملحوظًا.

جذب الكفاءات وهجرة العقول:

في هذا السـياق، اسـتطاع الغرب جذب الشباب إلى التعلّم في جامعاته، فـنرى تهافت الطـلّاب العرب عـلى الجامعـات الغربيّة، حيث تسـتقبل أوروبا عددًا خياليًّا من الطلّاب العرب سـنويًّا، كما تشـير الدراسات أيضا إلى أنّ 54% من الطلّاب العرب الّذين يسـافرون للدراسـة لا يعودون إلى أوطانهم.[1] أمّا الّذين لم تسنح لهم فرصة التعلّم في الغرب، فيبدو واضحًا عليهم الشعور بالهزيمة النفسيّة، أي أنّهم غير قادرين على ترك أثرٍفعّالٍ، أو إحداث فرقٍ في تغيير الواقع.

وبالعودة إلى الهجرة العربيّة نحو أوروبا وأمريكا الشماليّة، يمكننا القول:إنَّ الغرب يستخدم أداة المساعدات والتسهيلات التي يقدّمها للشباب العربيّ، خصوصًا ذوي الشـهادات العليا والمتفوّقين علميًّا، في سبيل إفراغ عالمنا الإسلاميّ من الطاقات البشريّة العليا التي من شأنها أن تخدم مجتمعها من خلال العلم والكفاءة التي تتمتّع به تلك الفئة من الشباب.

جاء في تقرير أجرته قناة الجزيرة أنّه خلال السنوات الأخيرة هاجرت أعداد

1 - نزيـف العقـول.. أرقام صادمة لهجـرة الأدمغة من الدول العربيـة وتداعيات مدمرة للاقتصاد والتنمية البرامج | الجزيرة نت (aljazeera.net)

كبيرة من الكفاءات العربيّة إلى أوروبا وأمريكا الشماليّة بحثًا عن آفاق مهنيّة واقتصاديّة أفضل، وترجّح الدراسات أن تتصاعد هذه الأرقام خلال السنوات القادمة، حيث كشف تقرير البارومتر العربي الصادر في يوليو/تموز 2022 عن أن الرغبة في الهجرة لدى ذوي المهارات العالية في الدول العربيّة في ارتفاع مستمرّ. ويشارأيضًا إلى أنّ التقرير العالميّ لرصد التعليم في الدول العربيّة لعام 2019 الصادر عن منظّمة اليونسكو يظهر أنّ أعلى معدلات الهجرة لذوي المهارات العالية إلى الخارج توجد في لبنان والمغرب، حيث يهاجر واحد عن كل 4 أشخاص من ذوي الكفاءات العالية.[1]

ولهذه الظاهرة تبعات سلبيّة جمّة، منها:

- تعميق الفجوة بين الدول الغربيّة الجاذبة للعقول وبين الدول النامية التي خرج منها الشباب ذوو المهارات.
- تبعية تلك الفئة من الشباب للغرب وتسخير علمهم لخدمة مشاريعه.
- العجز العلميّ الذي ستعاني منه الدول النامية، ومن ثَمَّ تبعيتها العلميّة للدول الغربيّة.
- ضعف إنتاجية الطبقة المتبقيّة في البلاد التي تعاني من العجز العلميّ، نتيجة شعورها بالهزيمة والدونيّة.
- فقدان نسبة كبيرة من الطاقة البشريّة الإنتاجيّة، مما يؤدّي إلى الفتور والعجز الاقتصاديّ، مما سيؤدّي إلى طلب المساعدة والرعاية من الدول الغربيّة، ومن ثَمَّ التبعيّة السياسيّة لها، وفقدان القرار الوطني المستقلّ.

1- المصدر نفسه.

المبحث الرابع:

تجهيلُ المجتمع وتسطيحُ الوعي (فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ)

● **أوّلًا: المستكبرون وتجهيل المجتمعات بهدف التحكّم والسيطرة**

إنّ واحدًا من أركان تثبيت الحكم وبسط السيطرة هو تجهيل الشعوب، بحيث يصبحون مسلوبي الوعي الذي يمكّنهم من إدراك واقعهم المرير، فلا سبيل للجهّال إلّا باتّباع الطواغيت، وهذا ما قاله عزّ وجلّ في السياسات الاستكباريَّة لفرعون: ﴿**فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ**﴾[1]، أي عمل فرعون على تجهيل قومه إلى أن أصبحوا تبّعًا له، عميان عن فساده، بل مشاركين فيه، يطيعونه في كلّ ما يأمر وينهى.

وممّا لا شكّ فيه، أنّ نشر الفساد والرذائل يعدُّ من أبرز أدوات التجهيل، وهذا ما يفعله الغرب في عالمنا، حيث نشر ثقافة الملاهي اللّيليّة، وصالات المقامرة، وشرب الخمر، وتطبيع العلاقات المحرّمة وغيرها من الآفات. تلك المفاسد التي تغذّي الجانب الحيوانيّ الغرائزيّ من الإنسان، فيتغلّب على آدميّته، ويصبح كائنًا مجرّدًا من الوعي، مسلوب الإرادة، لا يعنيه إلّا ما يخدم غريزته الحيوانيّة من طعامٍ، وجنسٍ، وترفيهٍ، واحتفالاتٍ و... إلخ. فبدل انشغال الشاب المسلم في العمل على قراءة الكتب الدينيّة أو اللّجوء إلى المحاضرات التثقيفيّة في المعاهد الإسلاميّة أو المساجد أو غيرها،

1 - سورة الزخرف، الآية: 54.

يرى الشاب المسلم نفسه منشغلاً بالمهرجان هذا أو الحفلة تلك.

إنّ صرف نظر الشباب عن التعرّف على دينه تعرُّفًا صحيحًا ومن المصادر الصحيحة، تجعل منه أرضًا خصبةً يزرع فيها الغرب الشكوك والإشكاليّات، بل ويلقّنه السرديّة المشوّهة عن دينه وتراثه.

هـذا الجهل الدينـيّ المنتشر في مجتمعاتنـا أعطى فرصـةً عظيمةً للغرب، الـذي لم يتركهـا لتفلـت من يده، بل اسـتغلّها ايمّا اسـتغلال، فعمل على تصدير شـيوخ السـلطان الّذيـن يحرّفون الكلم، ويمارسـون الدجل والكذب، بهدف استمالة الشـباب العربيّ وإقناعه بضرورة طاعة الحاكم، ذلـك الجنديّ الصغير الموظّف لدى أمريـكا أو غيرها من الدول الغربيّة، الجنـديّ الذي يتقن تنفيذ مهمّاته الموكلة إليه من قبل مشـغلّيه، ولو على حساب شعبه.

كـما أنّ الأزمـات التـي يفتعلهـا المسـتكبرون في الـدول، كالأزمـات الاقتصاديّة والحروب، تحرف اهتمام الفرد -الذي يعيش في ذلك المجتمع المتخبّط وغير المستقرّ أمنيًّا واقتصاديًّا- عن أحوال وأمور الأمّة والمجتمع، وتلهيه بحلّ مشـاكله الشـخصيّة التي لا تكاد تنتهي، وهذا هو حال شبابنا الإسلاميّ والعربيّ.

فسياسة تجهيل الشعوب تُعدُّ الجنديّ الخفيَّ للاستكبار العالميّ ودوله، بحيث يفتح أمامها المجال للتحكم والسـيطرة على الشعوب وإلهائها عن قضاياها الحيوية التي ينبغي أن تناضل من أجلها.

الفصل الثالث:

الاستكبارُ وعالمُ القيم ونمطِ الحياة

المبحث الأول:

سياسة نشر الفساد

(الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ)

● **أوّلًا: المستكبرون وسياسة نشر الفساد:**

تحّدثنا في المباحث السابقة عن اتلازم العلاقة بين الاستكبار وبين الطغيان والفساد، وقلنا: إنّ المثل الأكثر وضوحًا في القرآن عن الطاغية والفاسد، هو فرعون، حيث وصل به الحدّ في الطغيان إلى ادّعاء الربوبيّة.

يقول تعالى: ﴿**اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (17) فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ (18) وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ (19) فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ (20) فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ (21) ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ (22) فَحَشَرَ فَنَادَىٰ (23) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ (24)**﴾[1].

أمر الله ،تعالى، نبيّه موسى، عليه السلام، بالذهاب إلى فرعون، ليسأله الامتناع عن الطغيان والفساد والالتزام بالتزكيّ، أي تطهير النفس من ممارسة الفساد والطغيان، فعرض عليه موسى الهداية والرجوع إلى الحقّ، لكن فرعون جمع ملأه وكبار سحرته من أجل مواجهة موسى، ثمّ تولّى وأدبر ساعيًا جاهدًا لإبطال دعوة موسى، ومن أجل الحيلولة دون نجاح دعوة موسى وفي سبيل مواجهتها، قام فرعون بجمع الناس في مملكته ونادى بهم أنّه ربّهم الأعلى.

---

1 - سورة النازعات، الآيات: 17-24.

● **ثانيًا: دوافع ظاهرة الفساد والطغيان:**

إنّ ظاهرة الطغيان نابعة من دوافع عديدة، أبرزها وأهمّها الشعور بالاستغناء، كما جاء في قوله تعالى: ﴿**كَلَّا إِنَّ الإنسان لَيَطْغَىٰ * أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ**﴾[1]، أي أنّ الشعور بالاستغناء نتيجة كثرة المقدّرات والثروات وكثرة الأموال والجاه والسلطة...، تجعل الإنسان يظنّ أنّه قادرٌ على كلّ شيءٍ في هذه الحياة الدنيا، بفضل ما لديه من السلطان والثروات.

وممّا لا شكّ فيه أنّ الطغيان ملازم للفساد، كما قال تعالى بحق الدول والممالك المستكبرة -عاد، وثمود، وفرعون-: ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (6) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (7) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (8) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (9) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (10) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (11) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (12)**﴾[2]، أي أنّ كل طاغية فاسد بالضرورة. حيث إنّ الطاغية لا يخضع لأيّ قوانين وتشريعات وضوابط أخلاقيّة، لأنّه يرى نفسه فوق ذلك، بل يتصرّف حسب أهواء نفسه ومصالحه منافعه، ولو بضرب كلّ القوانين والقيم الأخلاقية بعرض الحائط، فلا يجد رادعًا عن الظلم والتنكيل والإجرام. بل يرى لنفسه المسوِّغات التي تدفعه إلى القضاء على كلّ من يحاول منافسته أو سحب بساط السلطة من تحته ومقاومة فساده. وبفضل ولايته وسيطرته، يمتلك الطاغية جميع الوسائل التي تمكّنه من نشر الفساد والرذيلة في المجتمع، هذا الفساد الذي من

1 - سورة العلق، الآيتان: 6-7.

2 - سورة الفجر، الآيات:6-12.

شأنه إلهاء الشعوب عنه وعن طغيانه، فيرى تدمير الشباب وانزلاقهم في أودية الانحطاط الأخلاقيّ، منقذًا له ومثبتًا لحكمه، بحيث لا تتمكّن الشعوب من جمع قدراتها والعمل على معارضته ومقاومته وإزالة حكمه. حتى إنّه يلجأ إلى إفقار شعبه وتجويعه، لكي يصبّ شباب المجتمع كلّ سعيٍ وجهدٍ في سبيل لقمة العيش صعبة المنال.

● **ثالثًا: أمريكا ونشر الفساد لتدمير الشباب:**

لذلك نرى الشعوب التي تعيش تحت حكم الطواغيت تعايش حالاً من عدم الاستقرار الذهنيّ والنفسيّ والاجتماعيّ والاقتصاديّ و...، بحيث يكونون عاجزين عن طرح أي مبادرة تمكّنهم من الدخول في عالم السياسة. بالإضافة إلى الترهيب الذي يُمارَس عليهم بهدف تجنّب أي حراك أو انتفاضة من شأنها أن تزعزع كرسيّ السلطان أو تهدّد عرشه.

وهذه هي السياسة التي تعتمدها أمريكا، التي تمارس الطغيان على بلادنا العربيّة والإسلاميّة، فتنشر الفساد بين الشعوب، وتعمل على تدمير الشباب القادر على مواجهتها، وتغيير الواقع الذي فرضته عليه. فأمريكا تملك جميع وسائل نشر الفساد، مثل: مواقع وسائل التواصل الاجتماعيّ، وصناعة السينما، والأفلام الإباحيّة، ونشر ثقافة الملاهي اللّيليّة، والكازينوهات وألعاب القمار... إلخ، كلّ تلك المظاهر التي نراها منتشرة في عالمنا، هي صناعة غربيّة، تمّ نشرها من خلال التلاعب بعقول الشعوب وإقناعها أنّ هذه وسائل ترفيهيّة لا بدّ للشباب من اللّجوء

إليها. وهكذا جعلت أمريكا والغرب شباب أمّتنا لا يفكرون إلاّ بالترفيه عن أنفسهم، واستمالتهم إلى اللّهو واللّعب بدل العمل على إنشاء مجموعات شبابيّة تنشر الثقافة الإسلاميّة, وتعمل على تعزيز وعي الجيل الصاعد، لكيلا يكون أداةً من أدوات الغرب.

والجدير بالذكر ههنا، استغلال الغرب لهذا الشعور الذي أوجدوه في الشباب العربيّ والمسلم، فرأى الغرب أنّه قادرٌ على استمالة الشباب المتعلّم والمثقّف في المجتمع، وجعله تابعًا له ، يأتمر بأوامره ، ويعمل على نشر ثقافته الغربيّة في دولنا الإسلاميّة. ومن أبرز مظاهر هذه السياسة، هي المنظّمات غير الحكوميّة (NGOs) المنتشرة في بلادنا، والتي من شأنها دسّ السمّ في العسل، أي تمرير السياسات الغربيّة، ونشر العادات المخالفة للدّين والشريعة، وتطبيع الناس معها، تحت لواء التنميّة البشريّة والاجتماعيّة للشعوب وشعارها. تعمل هذه المنظّمات على جذب النخب الاجتماعيّة من أطبّاء، ومحامين، وإعلاميين، وكتّاب، و...إلخ، وتجعلهم طوع يدها، وقد تكون هذه الطريقة الأنجع في التأثير في الشعوب، إذ إنّ هذه الشخصيّات النخبويّة تنتمي إلى هذا المجتمع، فتكون قادرة على التلاعب بعقول أفراده بطريقةٍ أسهل وأسرعٍ، فلو كانت تلك الشخصيّات غريبة عن المجتمع، ففي الغالب ستواجه نفورًا أو عدم قبول، أو معارضة، أمّا تلك التي تشكّل جزءًا من مكوّنات المجتمع، فسيكون قبول طرحها وأفكارها بطريقةٍ أكثر ليونة.

ولنطّلع على نماذجٍ من القضايا والأطاريح التي تهتمّ بها جمعيات العمل المدنيّ أو المنظّمات غير الحكوميّة وتدافع عنها:

الشذوذ الجنسيّ:

وهو ما يطلقون عليه اسم «المثليّة الجنسيّة»: جمعيّة «حلم» التي أنشأت عـام 2004، وأصبحت الأولى من نوعها في منطقة الشرق الأوسـط, وهي تعني بالمطالبة بالحقوق المدنيّة والاجتماعية والقانونيّة للمثليّين، حسـب الأهداف التي وضعتها الجمعية لنفسها.[1]

الحرب على الزواج المبكر:

أطلقت الهيئة الوطنيّة لشؤون المرأة اللّبنانيّة بالتعاون مع معهد الدراسات النسـائيّة في العالم العربي - الجامعـة اللبنانيّة الأميركيّة، ولمناسـبة اليوم العالميّ للمرأة، «الحملـة الوطنيّة لحماية القاصرات من الزواج المبكر»، وقد رأى أمين سرّ الهيئة الوطنيّة لشؤون المرأة اللبنانيّة أنّ «القاصرة ضحيّة ثقافة وتراث لا يمتّ الى الدّين بصلة».[2]

الزواج المدنيّ:

تواصـل هيئـات المجتمع المدني في لبنـان تحركاتها بدعـوة من الهيئة المدنيـة لحريـة الاختيار للمطالبة بإقـرار قانون مدنيٍّ اختيـاريٍّ للأحوال الشخصية، يتيح للبنانيَّات واللبنانيِّين الراغبين بعقد قرانهم مدنياً.[3]

---

1 - 020709 Helem Libanon – DW – 20094/7/

2 - حملـة للهيئة الوطنية لشـؤون المـرأة لحماية القاصرات من الـزواج المبكر | بوابة تمكين النساء اقتصادياً (weeportal-lb.org)

3 *- الزواج المدني في لبنان - فورمينا (formena.org)

هذه نماذج قليلة من الانحرافات والفساد الذي تبثّه هذه الجمعيّات، بأيادٍ مزروعةٍ في مجتمعاتنـا، تنتمي في الظاهر إليه، لكنّها تنفّذ الخطط الغربيّة التي ترمي إلى هدمه وتدميره من خلال نشر الفسـاد والانحلال الأخلاقيّ بين أفراده وإبعادهم عن الدّين.

المبحث الثاني:

تعزيزُ الجانب الماديّ من نمط الحياة (يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ)

● **أوّلًا: التوفيق بين الحياة الماديّة والمعنويّة:**

لحياة البشر جانبان، جانبٌ ماديٌّ، وهو الجانب المتعلّق بالجسد وتأمين حاجاتـه ومتطلّباتـه، كالأكل، والشرب، واللّباس، والمـال، وآخر معنويّ وهو الجانب المتعلّق بالروح وحاجاتها ومتطلّباتها، كالشـعور بالطمأنينة، والسلام الداخليّ، والراحة النفسيّة، وغيرها.

فالإفراط في السعي وراء الجانب الماديّ لا محال سيؤدّي إلى إهمال الجانب المعنويّ، فللإنسان قدرات محدودة، لا تمكّنه من تحصيل الحدّ الأقصى لكلا الجانبين في الوقت نفسه. إذًا، من أجل حياةٍ مستقرّة ومتوازنة، ينبغي على الفرد أن يوفّق بين هذين الجانبين، ولحياةٍ مطمئنّة وطيّبة، يجب عليه تغليب الجانب الروحيّ، الذي من شأنه أن يؤمّن له السعادة والحياة الطيّبة التي وعدنا اللّه،، جلّ اسمه حين قال: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[1].

وأمّا تغليب الحياة الدنيا أي الجانب الماديّ، فلا شكّ أنّه سبب من أسباب هلاك الإنسان في الدنيا والآخرة. أمّا في الدنيا، فطالما أنّه يسعى

1- سورة النحل، الآية: 97.

ويكدّ ويبذل جهده في سبيل هدفٍ وهميّ -أي الحياة الدنيا- فلا شكّ أنّ كدّه وسعيه لن يوصلاه إلى برّ الأمان، حيث إنّ كلّ ما وصل إلى هدفٍ لم يقنع به، بل سيبحث عن هدفٍ أعلى، وهكذا إلى ما لا نهاية، إذ لا وجود للكمال المطلق في هذه الدنيا الدنيّة. وأمّا في الآخرة فمصيرهم العذاب والغضب الإلهيّ المحتوم، كما جاء في قوله تعالى: ﴿**أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ**﴾[1].

● **ثانيًا: المستكبرون وسياسة الإغراء بنمط الحياة الماديّة:**

لا ريب في أنّ الفساد الناتج عن اتّباع الهوى وتغليب الحياة الماديّة، سوف يؤدّي إلى مداهنة الطغاة وأصحاب الأموال والثروات بهدف تحصيل ما تشتهيه النفس من تحقيق الغايات الدنيويّة الماديّة، لذا كان من دأب المستكبرين العمل على تغليب الجانب الماديّ من حياة الكائن البشريّ، بهدف استمالته وجذبه، ليكون تابعًا لهم، مطيعًا لأمرهم، حيث ينتهي به الأمر إلى كونه واحدًا من جنود الطغاة وأعداء اللّه.

وهذا ما جنح إليه فرعون في محاولته لصدّ قومه عن الحقّ، أي دعوة موسى، عليه السلام، وهذا ما يبدو واضحًا في قوله: ﴿**وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ**﴾[2].

1 - سورة البقرة، الآية: 86.

2 - سورة الزخرف، الآية: 51.

ولنا في قصة قارون في القرآن الكريم نموذجٌ آخر على هذه القضية، يقول تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (76) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (77) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (78) فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (79) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ (80) فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ (81) وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (82) تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (83)﴾[1].

وكذلك ديدن خلفاء فرعون من الطغاة والمستكبرين، الّذين رأوا أنّ من أفضل الطرق لاستمالة الشعوب، هو حرفهم عن الجانب المعنويّ من الحياة، هذا الجانب الذي من شأنه أن يخلق بيئةً غير حاضنة لمشاريعهم

1 - سورة القصص، الآيات: 76-83.

ومخطّطاتهم الاستعماريّة. فلجؤوا إلى تعزيز الجانب الماديّ من حياة البشر، أي عملوا على جذب أنظار البشر ونفوسهم إلى الأموال، والألبسة، والأطعمة، والأشربة، والسيارات، و...إلخ. فأضحى أكبر هموم الشباب تحصيل الأموال، واقتناء السيّارات الفارهة، والمفروشات الثمينة، وغيرها.

أمّا المساعد الأبرز في نشر هذه الثقافة الماديّة في بلادنا العربيّة والإسلاميّة، فهو الاستعمار الذي عانت منه بلادنا سنين طويلة، حيث شكّل هذا الاحتلال فرصةً ثمينةً للغرب الذي أصبح قادرًا على بثّ أفكاره وتنفيذ مخطّطاته من خلال الاحتكاك المباشر مع الشعوب، وتأسيس المدارس والمعاهد والجامعات التي كان من شأنها اللّعب بعقول الشباب المسلم وتمرير السياسات الغربيّة المرجوّة.

- **ثالثًا: السيطرة الغربية على الماركات التجاريّة:**

يمكننا ملاحظة السيطرة الغربيّة على التجارة والأسواق العالميّة. ومن أبرز مظاهر هذه السيطرة، سياسة العلامات التجاريّة المهيمنة على العالم. تقوم سياسة العلامات التجاريّة (Brands)، على إنتاج السلع الباهظة الثمن،التي لا يستطيع شراءها إلّا من كان يتمتّع بمستوىً ماديٍّ مرتفعٍ، وبعبارةٍ أخرى أصبحت هذه العلامات التجاريّة فيصلاً في تحديد الطبقة الاجتماعيّة التي ينتمي إليها الفرد. وهذا ما جعل الشباب يتنافسون, ويبذلون قصارى جهدهم في سبيل شراء هذه السيّارة الفاخرة التي تحمل اسم تيسلا (Tesla)، أو تلك السترة التي تحمل اسم جورجيو أرماني (GIORGIO ARMANI).

هــذه الهيمنة الاقتصاديّة، أثّرت على الشــعوب اللاّغربيّة عمومًا والعربيّة خصوصًا، وخلقت في نفوســهم عقد نقصٍ وشــعور بالدونيّة، إذ أصبحوا بحاجــة إلى الغرب في جميع مجالات حياتهــم، واتّخذوه كمرجعٍ ثقافيّ، في نمط الحياة واقتصاديّ.

إنّ تركيز الجهود على تحصيل الأموال، يهدم الحياة الروحيّة للإنسان، ويشغله عن دينه وهدفه الذي خُلِقَ من أجله، وهو عبادة الرحمن الذي قال: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾[1]، فينتهي أمره إلى عبادة الطاغوت الذي نها عنها اللّه عزّ وجلّ حين قال: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**﴾[2]، أي أنّ الغاية من بعث جميع الرسل هي دعوة البشر إلى عبادة اللّه وترك الطّاغوت، أي ترك عبادته، إذ لا يمكن اجتماع عبادة اللّه وعبادة الطّاغوت في نفسٍ واحدةٍ.

- **رابعًا: إفقار الشعوب ونهب الثروات:**

الأعوام الطويلة من الاســتعمار المباشر نهــب فيها الغرب ثروات بلادنا، وتــرك لنــا دولاً غير قــادرة على الاكتفاء الــذاتيّ، بهدف تدمــير اقتصادها وجعلهــا دائمة الحاجــة للدول الغربيّــة التي لا تقدّم الإعانة والمســاعدة

1 - سورة الذاريات، الآية: 56.

2 - سورة النحل، الآية: 36.

إلا بعـد تمرير أجنداتها الإسـتراتيجية ومخططاتها في المنطقة. فضلاً عن نهب الثروات النفطيّة المسـتمر إلى يومنا هذا من خلال الاستعمار المقنّع الذي يمارسـه الغرب من خـلال أذرعه وأعوانه في المنطقـة. تنفّذ الدول الغربيّة وعلى رأسـها أمريكا هذا المخطط الذي يسلب منا ثروتنا النفطيّة، من خلال اسـتحواذها عـلى أكبر الشركات النفطيّة المتعدّدة الجنسـيات، والتي لا تفسـح المجال لأي دولة تريد التنقيب عن النفط أو اسـتخراجه إلاّ بمساعدتها، حيث كشـفت بيانات رسميّة عن إجمالي صادرات النفط الخام لـ 5 دول عربيّة (السـعوديّة، العـراق، ليبيا، الكويت، الإمارات) إلى الولايـات المتحدّة الأمريكيّة، البالغة 18.687 مليـون برميل، بقيمة بلغت 17.64 مليار دولار، خلال 11 شهراً من عام2023. [1]

هـذا مع العلم أنّ أمريـكا تمتلك أكبر احتياطي نفـط في العالم، إلاّ أنّها لا تسـتخدمه، بل تعتمد على النفط العربيّ، مـن أجل الحفاظ على أعلى احتياطـي نفـط في العالم، هذا الـذي يمكنّها من القبض عـلى القرارات السياسـيّة الدوليّة واسـتحواذ القوّة الإسـتراتيجيّة التـي تمكّنها من فرض سـيطرتها على الدول الأخرى. وبهذه الطريقة تحذو أمريكا حذو فرعون، من إفساد الشعوب وتفقيرها، ولسان حالها يقول «أنا ربّكم الأعلى»، أي لا سبيل للاستقرار العالميّ والازدهار إلاّ بوجودي.

ولا يمكننا غضّ النظر عن السياسات التي تتّبعها أمريكا في سبيل تثبيت

1 - 17.6 مليار دولار واردات أمريكا من النفط العربي في 11 شـهراً - معلومات مباشر (mubasher.info)

وتعزيز سـيطرتها، والتي تقوم على قمع شـعوبنا ومصادرة حقّهم في تقرير المصـير، حيث تبـذل أمريكا كلّ الجهد في مواجهة الحركات الإسـلاميّة المناهضة لها، بشـتّى الأسـاليب، كالأسـاليب الدبلوماسـيّة والسياسيّة، كفرض العقوبات الاقتصاديّة، حتى إنّها تلجأ إلى الأساليب العسكريّة من أجل تدمير تلك الحـركات حفاظًا على مصالحها الاقتصاديّة، وأكبر دليلٍ على ذلك، تلك الهجمات التي تشنّها أمريكا وبريطانيا على جماعة أنصار اللّـه في اليمـن، تلك الجماعة التـي رفضت الهيمنـة الأمريكيّة وتجرّأت عـلى مواجهتها، من خلال منع سـفنها من الإبحـار في البحرين: الأحمر والعربيّ، تلك السـفن التي تغذّي وتمـدّ الكيان الصهيونيّ بالعتاد والمواد الغذائيّة والنفط وغيرها من الإمدادات.

الفصل الرابع:

سياساتُ المؤامراتِ والعنفِ والإرهابِ

المبحث الأوّل:
سياسة فرّق تَسُد
(وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا)

- **أوّلًا: المستكبرون وسياسة فرّق تسد:**

تقوم سياسة «فرّق تَسُد» (Divide and rule) على أساس تقسيم الشعوب والكيانات الكبرى، من أجل جعلها كيانات صغيرة ذات قوّة محدودة، من السهل السيطرة عليها، حيث إنّ الاتّحاد يُنتِج القوّة، والتقسيم والتفكّك يُنتِج الضعف والهوان. كما تعمل هذه السياسة على منع الكيانات المنفصلة عن الاتّحاد في سبيل الهدف ذاته، أي الهيمنة عليها.

تشرع القوى الاستكباريَّة في تنفيذ هذه السيّاسة، من خلال بثّ الفتن، والتحريض الطائفيّ، أو القوميّ أو العرقيّ، وتغذّي النزعة العنصريّة لدى الشعوب بحيث تجعلها متقوقعة في محيط طائفتها، أو قوميّتها، أو عرقها، وجاهزة لخوض حروبٍ من أجلها، تلك الصراعات والحروب التي تخلقها القوى الاستعماريّة بهدف تقليص قوّة الكيانات المتصارعة، إذْ إنّها تخرج من الحروب الداخليّة أو الخارجيّة، مستنفذةً قوّتها ومنهكةً.

وليس هذا المصطلح السيّاسي بالجديد، فهذه السياسة متّبعة من قبل الطغاة منذ القدم، ففرعون على سبيل المثال فرّق أهل مملكته وجعلهم شيعًا؛ ليسهل عليه استضعاف كلّ فرقةً منهم على حدَة على نحوٍ مستقل، وبثّ بينهم الفتنة والخلافات لكيلا تتوحّد كلمتهم فيثوروا عليه ويهددوا حكمه وعرشه، قال

تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾[1].

● **ثانيًا: نماذج من سياسة «فرق تسد» في عالمن المعاصر:**

وكم من الطّغاة حذوا حذوَ فرعون في سياسة (جعل أهلها شيعًا) فتسبّبوا بنشر الفتن والتقسيم وعملوا على إيقاد نار الصراعات بين شعوبنا ودولنا. ولنتطلّع على دور الاستكبار العالمي في تمزيق شعوب منطقتنا الإسلاميّة من خلال نماذج عديدة:

أوّلًا: اتّفاقيّة سايكس-بيكو:

وهي الاتّفاقيّة السريّة التي أُبرِمَت بين فرنسا وبريطانيا و تقضي بتقسيم المنطقة العربيّة التي تقع شرقيّ البحر المتوسط، أو ما يسمّى بالهلال الخصيب، إلى مناطق نفوذ وسيطرة فرنسيّة، وأخرى مناطق نفوذ وسيطرة بريطانيّة. وهذه الاتّفاقيّة هي التي وضعت الحدود المصطنعة المفروضة على شعوبنا، فالحدود بين فلسطين ولبنان -مثلاً- لم تكن موجودة قبل هذا الاتّفاق، وهي التي أدّت إلى تفريق شعوب المنطقة الواحدة وسكّانها ، فكم من عائلات متداخلة على الحدود بين لبنان وسوريا -مثلاً-، إلاّ أنّ كلّ فرد من تلك العائلة أصبح يملك جنسيّةً مختلفةً عن فردٍ آخر من أفراد عائلته. وهكذا لعب الغرب دورًا في التقسيم في كثير من المناطق في

1 - سورة القصص، الآية: 4.

العالم العربيّ والإسلاميّ، فترك ذلك بصمته السلبيّة حتى يومنا هذا في التمزيق والتشتيت والصراعات.

ثانيًا: النقاط الحدوديّة المتوتِّرة:

بعد أن قسّمت دول الاحتلال الغربيّ المنطقة إلى دولٍ «ذات سيادة»، من خلال اتّفاقيّة سايكس-بيكو وغيرها، ركّزت تلك القوى على ترك نقاط حدوديّة غير واضحة وهي ما تسمّى الآن بالمناطق المتنازع عليها، بهدف تأجيج الصراعات الحدوديّة بين الدول، ومن أبرز هذه النزاعات، النزاع القائم بين الهند وباكستان، هذا النزاع الذي تسبّب به الاحتلال البريطانيّ الذي رسم الحدود قبيل خروجه من تلك المنطقة، فترك منطقة كشمير غير واضحة الحدود، فالهند تدّعي أنّها جزءٌ من أراضيها، وباكستان تدّعي أنّها تابعة لها، وهذا ما تسبّب بإشعال صراعٍ دام لعقودٍ متتابعة، كلّف كلا الطرفين الكثير من الخسائر البشريّة والعسكريّة والماديّة.

ثالثًا: تعزيز النزعة الانفصاليّة لدى الشعوب:

عملت القوى الطاغوتيّة على تعزيز العنصريّة لدى الشعوب، على أساس مذهبها أو قوميّتها، ممّا خلق دافعًا لهم للانفصال عن كلّ من لا يشاركهم في دينهم أو قوميّتهم، وتأسيس دولة جديدة على هذا الأساس، تجتمع فيها أفراد هذا الدّين أو تلك القوميّة، ومن أجلى مظاهرها، القضيّة السودانيّة، حيث خاض شعب الجنوب السودانيّ حربًا أهليّة استمرّت عدّة سنوات، من أجل الانفصال عن السودان الكبير، وتأسيس دولة للمسيحيّين

السـودانيّين، منفصلـة ومسـتقلّة عـن دولة السـودانيّين المسـلمين. هذا «الاسـتقلال» جاء بعد اسـتفتاء أحاديّ الجانب جرى بين سكّان الجنوب السـودانيّ. وبعد إعلان «الاستقلال» تسـارعت ردود الفعل من العواصم العالميّـة، حيـث أعلن باراك أوبامـا، رئيس الولايات المتّحـدة الأمريكيّة آنـذاك، أنّ بلاده سـوف تعـترف بجنوب السـودان «المسـتقلّ وصاحب السيادة». وقال الرئيس الأمريكيّ: «أهنّئ باسمي وباسم الشعب الأمريكيّ سكّان جنوب السـودان بالنجاح الذي توّج الاستفتاء، والذي اختارت فيه الغالبيّة العظمى منهم الاستقلال والانفصال».

الموقف نفسـه ردّدته كذلك كاترين أشتون، مسـؤولة العلاقات الخارجية في الاتّحاد الأوروبيّ، التي حيّت الاسـتفتاء، مضيفـةً: "إنّها لحظة تاريخيّة بالنسبة للسودان. ونحن نحترم نتيجة الاستفتاء التي تعكس بحق إرادة سكّان الجنوب". وجاء في بيان وقّعته أشتون: "سوف يعمل الاتّحاد الأوروبيّ من أجل إقامة شراكة واسعة وطويلة المدى مع الدولة النّاشئة في الجنوب".

أمّـا الرئيـس الفرنسيّ آنذاك نيكولا سـاركوزي، فقد "هنّأ سـكّان جنوب السودان لمشاركتهم الواسعة في هذا الاقتراع التاريخيّ".[1]

وهـذه نبذةٌ عـن الدعم الغربيّ الذي تتلقّاه الكيانـات المنفصلة من أجل تعزيز اقتصادها، وتثبيت حكم الانفصاليّين، وهذا ما يخدم الهدف الغربيّ بشكلٍ كبيرٍ.

1 - انفصال جنوب السـودان: ترحيب غربي بنتائج الاسـتفتاء، وتنويه بموقف الشمال - SWI swissinfo.ch

رابعًا: إشعال الحروب البينيّة:

مــن أبرز الحروب التــي عملت أمريكا على إشــعالها، و كلّفت المنطقة العربيّة تبعات مدمّرة عــلى جميع الأصعدة، هي الحرب العراقيّة- الإيرانيّة التي اســتمرّت 8 ســنوات، مخلّفــةً قرياً من مليون قتيــل ومليوني جريح، وتهجير أكثر من مليون شخص تقريباً، بالإضافة إلى تدمير 157 بلدة إيرانيّة تدمــيراً جزئيًّا على الأقل، بينما اختفت ما يقارب 1,500 بلدة عن الخارطة. وقدّرت تكاليــف الحرب الإجماليّة بحوالي 1,2 مليار دولار، كما خسرت العــراق في هــذه الحرب ما يقــارب 500 مليار دولار أمريــكيّ، وتراكمت عليها ديون تقدر بـ130 مليار دولار من الديون.

هذه الحرب التي كان لأمريكا الدور الأكبر والأبرز فيها، إذْ دعمت أمريكا صدّام حسين في شنّ هجومه على إيران بعد انتصار الثورة الإسلاميّة بقيادة الإمام الخمينيّ (قده)، بهدف إضعاف الكيان الإســلاميّ الجديد واستنفاد قوّتــه، من أجل تحييد خطر تصدير الثورة الذي يشــكّل خطرًا على الغرب مــن جهة، وعــلى الطغاة العــرب كصدّام حســين. وقد جــاء في صحيفة الإندبندنت البريطانيّة دراســة أعدّها، باتريك كوبيرن، مراســلها للشّــؤون الدوليّة تحت عنوان "أثر الحرب الإيرانيّة - العراقيّة في الشرق الأوســط": "شهدت ســنوات الحرب الأخيرة تحوّلاً شــبه تام للولايات المتّحدة إلى حليف عســكري كامل لصدام حسين، فشــنّت الطائرات الأميركيّة غارات على ناقــلات النفــط الإيرانيّــة في الخليج، وقصفــت البحريّــة الأميركيّة المنشــآت النفطيّــة الإيرانيّة، وأبدى حلفاء صدام حســين لا مبالاة صادمة حين اســتخدم أسلحة الدمار الشامل على شــكل غاز سام ضد الإيرانيين

والكـورد. ويقول كوبـيرن: إنّ الولايات المتّحدة كانـت عازمة على عدم انتصـار إيران في الحـرب، فالإطاحة بالشـاه على يد الخمينـيّ في العام 1979، وأخذ الإيرانيّين للديبلوماسيّين الأميركيّين رهائن في طهران، شكّلتا هزيمتين مذلّتين لأميركا، ولم تكن واشـنطن لـترضى بفوز إيرانيّ إضافيّ. ويعتقـد بعضهم، أنّ الولايات المتّحدة أدت دوراً في إشـعال فتيل الحرب عام 1980 بهدف معاقبة إيران.

وبـدأت وكالـة الاسـتخبارات المركزيّـة CIA بتزويد بغـداد بإحاطات اسـتخباراتيّة منتظمـة وصـور أقمار صناعيّة عـن المواقـع الإيرانيّة تلافياً لوقـوع هزيمة عراقيّة. ويضيـف: حين أغارت الطّائـرات الحربيّة العراقيّة عـلى ناقلات النفط الإيرانيّة في الخليج باسـتعمال صواريخ إيكزوسـيت الفرنسيّة، ردّت إيران بضرب الناقلات الكويتيّة التي حملت النفط العراقيّ، وانضمت الولايات المتحدة إلى الجانب العراقي في ما عُرف باسـم حرب الناقـلات، في حين ضربت البحريّة الأميركيّة المنشـآت النفطية الإيرانيّة. وبلغ تدخّلها ذروته حين قامت سفينتها الحربيّة USS Vincennes بإسقاط طائـرة مدنيّة إيرانيّة متّجهة إلى دبي عن طريق الخطأ في 3 تموز 1988، ما أسفر عن مقتل جميع ركابها البالغ عددهم 290 شخصاً."[1]

وتبدو اليد الأمريكيّة التخريبيّة واضحةً في هذه الحرب التي تعدُّ من أكبر حروب التاريخ الحديث، التي جرت في منطقتنا، تاركةً آثارًا سـلبيّةً لا تعدّ

1 - منهـا دور أمريـكا بإطالتهـا.. تفاصيل تكشـف اولاً عن الحرب العراقيـة- الإيرانية (gulanmedia.com)

ولا تحصى ما زلنا نعاني من تبعاتها إلى يومنا الحاليّ.

هـذا نموذج واحـد من الحروب البينيّة فضلاً عـن دعم أمريكا للحروب الأهلية الداخلية داخل الدول العربية وغيرها.

المبحث الثاني:

سياساتُ المكر والمؤامرات

(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا)

● **أوّلًا: المستكبرون وسياسة المكر:**

استكمالاً لدراسة نهج المستكبرين والطغاة، لا بدّ لنا من تسليط الضوء على واحدة من أهمّ خصائص تلك الفئة، وهي المكر، كما يبيّن لنا القرآن التلازم بين الاستكبار والمكر ﴿**اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ**﴾[1]. وكنّا قد بيّنا معنى المكر في الفصل الأوّل من بحثنا، ونأتي ههنا إلى تفصيله وإبراز بعض مظاهره.

ومن أبرز معالم المكر في القرآن الكريم، يكمن في المؤامرات التي حاكها المستكبرون ضد حركة الأنبياء وأهل الحقّ، ومن النماذج على ذلك:

مكر فرعون ضد حركة موسى، عليه السلام، حيث يقول تعالى: ﴿**فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ**﴾[2].

مكر ثمود بصالح، قال تعالى: ﴿**وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (50) فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (51) فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ**

1 - سورة فاطر، الآية: 43.

2 - سورة غافر، الآية: 45.

يَعْلَمُونَ (52) وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (53)﴾[1]

مكر كفّار قريش ضدّ النبيّ محمّد (ص)، يقول تعالى: ﴿**إِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ**﴾[2]، وفي هذه الآية إشارة إلى مخطّطات قريش ومؤامراتها لاعتقال محمّد، أو سجنه، أو قتله، أو إخراجه من مكّة. ومن منّا لا يعرف حادثة المبيت، حيث نام عليّ بن أبي طالب، عليه السلام، في فراش النبيّ (ص)، حين أراد مشركو قريش قتل النبيّ، وبذلك لم يصلوا إلى مبتغاهم وهو قتل محمّد (ص)، وهذا هو معنى مكر اللّه، أي ردّ مكر الكفّار وإفشال مخطّطاتهم. فمن الجدير بالإشارة ههنا، أنّ المكر الإلهيّ يأتي في غالب الأحيان عبر الوسائط، وفي هذه الحادثة كان من خلال أمير المؤمنين، عليه السلام، الذي يقول: «وإنَّ أخا الحرب الأرق، ومن نام لم ينم عنه»[3]. وهذا تنبيه واضحٌ على واجب اكتساب الوعي وتوخّي الحذر الذي من شأنه دفع كيد الأعداء، وبعبارةً أخرى، يجب علينا أن نكون من جنود اللّه الّذين بهم يمكر اللّه ويردّ كيد الكائدين، أي لا نبقى مكتوفي الأيدي، فاقدي القدرة والعدّة والمخطّطات التي بها نواجه الأعداء، وننتظر من الله ،تعالى، أن يردّ شرّهم.

وكما تقدّم في الفصل الأوّل، يظهر من تتبّع آيات القرآن لكريم أنّ المكر

1 - سورة النمل، الآيات: 45-53.

2 - سورة الأنفال، الآية: 30.

3 - الشريف الرضيّ، نهج البلاغة، ج3، ص121.

سنّة من سنن المستكبرين، كما في قوله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (123)**﴾ [1].

وهذه النتيجة واضحة في المؤاخذة والعتاب اللذين سيقعان بين المستكبرين والذين استضعفوا،﴿**قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ (32) وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (33)**﴾ [2]

فهذه الآية تدلّ على أنّ واحدة من سياسات المستكبرين هي المكر في الليل والنهار لصد الناس عن الحقّ.

● ثانيًا: الاستكبار العالميّ المعاصر وسياسات المكر:

وكم من خليفةٍ ترك لنا كفّار قريش وفرعون من الطغاة والمستكبرين! لا ريب في أنّ منهجهم لا يزال حاضرًا في عالمنا المعاصر، وهو المنهج المتمثّل في السياسات الاستكباريَّة المتّبعة من قبل الغرب، أي أوروبا وأمريكا. إذ إنّ هذه القوى لا تكلّ ولا تملّ من حياكة المؤامرات وخداع

1 - سورة الأنعام، الآية: 123.

2 * سورة سبأ، الآيتان: 32-33.

شـعوبنا، من خلال وسـائل وأدوات متعدّدة سـنأتي على تفصيلها لاحقًا. هـذه المؤامرات والمكر باختـلاف أنواعها وأشـكالها، تفضي إلى هدف واحـدٍ وهو صدّ الناس عن النضال في سـبيل الحـقّ وقضاياهم المحقّقة، وبسط السيطرة الغربيّة على بلادنا، وجعلها تابعةً لها ومنساقةً مع مشاريعها الاستعماريّة الجديدة، إذ إنّ الطمع والجشع الذي يتمتّع به الغرب، يجعله متعطّشًـا للهيمنة علينا وعـلى مواردنـا الاقتصاديّة وثرواتنـا الطبيعيّة، بل وحتى نفوسـنا وعقولنا وأفكارنا، وذلك من خلال النيل من ديننا وعقيدتنا وتحريفها وتشويه صورة الإسلام.

ولهذا، نرى الولايات المتّحدة الأمريكيّة -مثلاً- لا تكاد تشـعر باسـتقرار ونهوض بلدٍ ما من بلادنا العربيّة والإسـلاميّة، إلّا وتشرع في المكر ورسم الخطـط وتجهيز المكائد بشـتّى أنواعهـا، بهدف إحلال الدمار والفسـاد والحـروب فيـه، إذ إنّ قـوّة أي دولـة واسـتقرارها يشـكّلان تهديدًا على مصالحهـا القائمة في الشرق الأوسـط، وهذا مـا رأيناه ونـراه في اليمن، والعراق، ومصر، وليبيا، وغيرها من الدول.

وغالبًـا ما يتمّ المكر التخطيط لهذه المكائد مـن قبل الرأس المدبّر، أي أمريـكا، أمّا تنفيذها فيوكل إلى عملائها وأدواتها في المنطقة، المتمثّلة في بعض الأنظمة العربيّة؛ كالنظام السـعوديّ، والإماراتيّ، وغيرهما. إذْ تعمل هذه الأنظمة على غسـل أدمغة الشعوب، وتمرير الألاعيب مستغلّةً كونها عربيّة وإسلاميّة ظاهرًا، أمّا الّذين لا يحتكمون لحكمها ولا يخضعون لها، فلا تجد هـذه الحكومات رادعًا عن قمعهم، وترهيبهم بالسـجن والقتل، بحجّـة الدفـاع عن المصالـح الوطنيّة لأنّهم يشـكّلون خطـرًا دامغًا على

استقرار البلاد حسب زعمهم.

ولا تشكّل هذه الأنظمة الوسيلة الحصريّة والوحيدة للاستكبار، إذ إنّه يمتلك الهيمنة الاقتصاديّة والعسكريّة والإعلاميّة التي تمكّنه من تحقيق أهدافه. ونتيجةً لتجهيل الشعوب، وتغريبها -أي فرض الثقافة الغربيّة وإقناعها بجدواها- وزرع بذور الشعور بالدونيّة في أنفسها، أضحت الشعوب العربيّة والإسلاميّة هي أيضًا جزءًا من المشاريع الاستعماريّة، بقصدٍ أو من دونه. وهنا تنبغي الإشارة إلى واجب النخب الإسلاميّة في تثقيف العامّة وتحذيرها من خطر الانصياع للغرب والتماهي معه، وحثّهم كذلك على الجهاد وترك اللّهو واللّعب وجمع الأموال والمناصب لوجه اللّه وفي سبيله، فهذه هي التجارة الرابحة التي أشار إليها اللّه، عزّ وجلّ، في قوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾[1].

1 - سورة الصف، الآيتان: 10-11.

المبحث الثالث:
العنفُ والإرهابُ والقتلُ
(يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ)

● **أوّلًا: المستكبرون واستخدام القتل والعنف:**

شكّل استخدام العنف والقتل أسلوبًا من أساليب الترهيب المُمارَس على الشعوب من قبل الطّغاة، وذلك بهدف ثنيها عن معارضتهم، وكبح جماح الثورة والغضب في نفوسهم، من خلال زرع الخوف والرعب الذي يحول دون تحرّكهم الثوريّ.

وبما أنّ الطّغاة أبعد ما يكونون عن القانون الإلهي، فلا معيار يضبط تصرّفاتهم وسلوكاتهم، وهذا ما يدفعهم إلى شرعنة أي وسيلة تحافظ على بقائهم وتخدم مصالحهم، حتى مع كون تلك الوسيلة دمويّة أو إجراميّة. وهذا ما يشرّع أبواب الإجرام أمامهم، من دون أي رادع. ولمّا كانت النفس البشريّة تخشى الموت وتصارع من أجل البقاء، كانت سياسة القتل أقصر سبيلٍ لصدّ الشعوب والجماهير عن المقاومة ومجابهة الطّاغية.

وهذه سنّة المستكبرين في الأرض، وهي القتل لأهل الحقّ والدعاة إلى العدل والقسط، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾[1].

1 - سورة آل عمران، الآية: 21.

ومن رؤوس الفســاد والطغيان التاريخيّة التي لا بــدّ لنا من الاطّلاع على منهجها الإجراميّ هو فرعون، إذ إنّ ما اقترفه بحقّ بني إسرائيل كفيل لرسم صورة الإجرام الممتدّة عبر التاريخ.

أنزل فرعون أشدّ العقوبات بحقّ بني إسرائيل كما نستظهر من السياق القرآنيّ، حيث قال اللّه، عزّ وعلا: ﴿**وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ**(1)﴾ وقال تعالى: ﴿**إِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ**﴾، وفي هذه الإشارة توضيح وبيان لأشكال العذاب المُمارس من قبل فرعون، الذي يشمل القتل والذبح للأبناء، واستحياء النساء، أي تركهنّ أحياء بهدف الخدمة والاستعباد، أو بهدف فعل ما يوجب زوال حيائهنّ. هذه المنهجيّة الدمويّة التي مارسها فرعون على بني إسرائيل كانت قائمة قبل مجيء موسى، أمّا بعد دعوة موسى، فجدّد هذا الطّاغية أوامر القتل مع أوّل تهديدٍ شعر به من قبل موسى، فأمر بقتل كلّ من يفكّر أن يؤمن بموسى وينضمّ تحت لوائه، والدليل على ذلك ما ورد في سورة غافر: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ * فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ**﴾[2]، وتلك الأوامر تعدُّ بمنزلة صدٍّ

1 - سورة آل عمران، الآية: 141.

2 - سورة غافر، الآيات: 23-25.

واضحٍ عن الحقّ من خلال التهديد والترهيب.

لم يكن إجرام فرعون حكرًا على بني إسرائيل وقوم موسى، بل وصل به الحدّ إلى تهديد السحرة الّذين جاء بهم لمجابهة موسى وهزيمته، على العلى الرغم من من كونهم من أبناء جلدته، بل وكانوا من المقرّبين منه، لكن بمجرد أن نطقوا بالحق، جاء تهديد فرعون أشكالاً وأنواعًا إبداعيّة في القتل والتنكيل، ﴿**قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ**﴾[1]، هذا التهديد جاء بعد أن أُلقيَ السحرة ساجدين، وقالوا آمنّا بربّ العالمين، أي قبلوا دعوة موسى وانساقوا معها بعد رؤيتهم لمعجزة عصا موسى، عليه السلام، وهم أخبر الناس بالسحر، فكان من المؤكّد لديهم أن ما جاء به موسى ليس من السحر في شيء، بل هو آية إلهيّة. والقطع من خلاف، عبارة عن قطع اليد اليمنى مع الرجل اليسرى أو بالعكس والتّصليب جعل الشخص على الصليب.

أمّا بالنسبة إلى رأس الدعوة، والتهديد الرئيسيّ الذي يحفّ بعرش فرعون، فتمثّل في شخص موسى، عليه السلام، وبما أنّ سفك الدّماء يعدُّ الطريق الأقصر بالنسبة إلى لمتجبّرين، فلا ريب في أنّ فرعون عزم على قتل موسى بقوله مخاطبًا ملأه: ﴿**ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ۖ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ**﴾[2]، وفي هذه الآية إشارة إلى

1 - سورة الشعراء، الآية: 49.

2 - سورة غافر: الآية: 26.

وجود فريق من قوم فرعون يطلبون منه أن يكفّ ويتراجع عن قتل موسى، أمّا قوله «وليدعُ ربّه» فهو إظهار للسخرية والاستهانة بموسى، أي فليدع ربّه الّذي يدّعيه فيخلّصه من بين يدي ويحميه منّي، وفي آخر الآية تعليل لعزمه على قتل موسى، وإظهار خوفه على قومه من تبديل الدّين -أي عبادة الأصنام- وفقدان الأمن والأمان من خلال دعوة موسى التخريبيّة حسب زعمه.

● ثانيًا: الاستكبار العالمي المعاصر وسياسات القتل والعنف والإرهاب:

إنَّ ديدن المجرمين واحدٌ مع تكثّر أسمائهم وعصورهم، فها نحن في عصر المتجبّرين الغربيّين الّذين لم يبرحوا يسفكون دماء المعارضين لهم من خلال شنّ الحروب واستخدام سلاح القتل والتنكيل، وأبرز النماذج في عصرنا الحاليّ تتمثّل في حرب أمريكا على العراق وأفغانستان، والعدوان الإسرائيليّ على غزّة.

أوّلًا: إجرام أمريكا في أفغانستان:

بدأ الغزو الأمريكيّ لأفغانستان بعد أحداث 11 سبتمبر 2001، حيث شرعت الولايات المتّحدة في عملياتها العسكريّة الدامية، مخلّفةً ملايين الضحايا من الأطفال والنساء. وقد أبدعت القوات الأمريكيّة في فنّ الإجرام وارتكبت العديد من المجازر، ومن أبرزها المحفورة في ذاكرة الأفغانيّين حيث تعرّض 9 أطفال للحرق بنيران الجنود الأمريكيّين،

بالإضافة إلى إلقاء القنابل على المستشـفيات التي تديرها منظّمات أمميّة، من دون أي حسيب أو رقيب. هذا السلوك الإجراميّ الذي يتّخذ -كالعادة- ذريعة مكافحة «الإرهاب».

ثانيًا: سفك دماء العراقيّين:

أتى هذه المرّة غزو أمريكا للعراق بذريعة أخرى، ألا وهي امتلاك العراق لأسـلحة الدمار الشامل، تلك الأسـلحة التي زوّدت أمريكا صدّام حسين بهـا خلال حـرب الخليـج الأولى أو حرب العراق ضدّ إيـران، لكنّ تلك الأسـلحة لم تكن بحـوزة الدولة العراقيّة حين شرعـت أمريكا في غزوها، وهـذا مـا أكّدته الدراسـات والأبحـاث والتحقيقـات، بـل والاعترافات الأمريكيّـة فيما بعـد. شرعت أمريكا في عمليّتها العسـكريّة ودكّت جميع الأراضي العراقيّـة برًّا، وبحرًا وجوًّا، متسـبّبةً باستشـهاد ملايين المدنيّين، فضـلًا عن توغّل الجنود الأمريكيّـين في الأراضي العراقيّة حيث اغتصبوا النساء ودفنوا الأحياء من دون أي شفقة أو رحمة[1].

ثالثًا: العدوان الصهيونيّ على غزّة:

لم يكـن العـدوان الحاليّ على غزّة هـو الأوّل من نوعه، فسـبقه عدوان 2008 الذي أسفر عن استشهاد أكثر من 1430 شهيدًا فلسطينيًّا، منهم أكثر

1 - أمريكا تاريخ من الإرهاب والإجرام في حق البشرية -Centre International des Etudes Stratégiques Sécuritaires et Militaires (ciessm.org)

من 400 طفل و240 امرأة و134 شرطيًّا، إضافةً إلى أكثر من 5400 جريح.

وعدوان 2012 الّذي خلّف 180 شـهيدًا، بينهم 42 طفلاً و11 امرأة، وقد بلغ عدد الجرحى نحو 1300.

ومـن ثمّ عمليـة العصف المأكول عام 2014 حـين قتلت إسرائيل 2322 شخصًا وأصابت 11000 آخرين.

ويتبعها معركة صيحة الفجر عام 2019 حين أسـفرت غاراتها الجوية عن استشهاد 34 فلسطينيًّا، وجرح أكثر من 100 آخرين.

بالإضافة إلى معركة حارس الأسـوار عام 2021 التي تسـبّبت باستشـهاد 250 فلسطينيًّا وجرح نحو 5000 إنسان.

ومن بعدهـا عملية الفجر الصادق، حين أفـادت وزارة الصّحة في قطاع غزّة بأنّ عدد الشـهداء في هذه الحرب بلغ 24شـهيدًا، بينهم 6 أطفال، في حين أصيب 203 بجروح مختلفة، منذ بداية الغارات الإسرائيليّة على غزّة.

هذه السلسـلة من العمليات والعـدوان على غزّة تتوّج بمعركةٍ هي الأكبر مـن حيث طـول مدّتها وعدد الضحايـا التي خلّفتـه، إذ إنّ عدد الضحايا من شـهداء ومصابين تخطّى المئة ألف، وذلـك عبر مجازر وهجمات لا تنتهي شنّتها القوّات الإسرائيليّة على القطاع برًّا وبحرًا وجوًّا، ومن أبرز هذه المجازر مجزرة المستشـفى الأهلي، ومجزرة مستشـفى الشّفاء، ومجزرة دوار النابلسيّ. طبعًـا كلّ هـذه الجرائم المرتكبة من قبـل إسرائيل تواجَه برسـائل التنديد والشـجب من قبـل المجتمع الدوليّ المنافـق، من دون تحريك ساكنٍ من شأنه أن يضع حدًّا للجرائم الصهيونيّة المستمرّة.[1]

1 - أبرز حروب إسرائيل على قطاع غزة | الموسوعة | الجزيرة نت (aljazeera.net)

المبحث الرابع:
السجنُ والاعتقالُ والنفيُ
(يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ)

● **أوّلًا: المستكبرون وسياسة السجن والاعتقال:**

يمكن عَدُّ السجن لونًا من ألوان العذاب ﴿**يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ**﴾ الّذي يمارسه المتجبّرون والمستكبرون، وكذلك النفي وإخراج أهل الحقّ من ديارهم ﴿**الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ**﴾[1]. أمّا عدول الطّغاة عن القتل إلى الاعتقال أو النفي فله أسباب متعدّدة، كسخط الشعب على حالة الإجرام المتّبعة وما يليها من انتفاضات وثورات في وجه سفك الدّماء، وكإرادة إهانة وإذلال الإنسان من خلال سجنه، خاصّةً بعد ما ظهر من المؤمنين حبّ الشهادة في سبيل إحقاق الحقّ، فبدا للمجرمين أن قتلهم لا يأتي بأكله المرجوّة، إذ إنّ الاستشهاد بين يدي اللّه ما هو إلّا غاية المتّقين التي يرزقهم اللّه بها على يد المجرمين، والسبب الأكبر احتمالاً هو بقاء أثر الشهداء وتأثّر الجماهير بهم وبأفكارهم وقضاياهم التي قُتلوا من أجلها، والسير على منهجهم، فيقتلون شخصًا فيظهر مكانهم ألف وألف شاب يحملون أفكاره ويتأسّون به لما للشهداء من وقعٍ عظيمٍ في نفوس الشباب المؤمن. هذه الأسباب وغيرها دفعت تلك القوى إلى استخدام الاعتقال أو النفي وسيلةٍ أخفّ أثرًا عليهم.

---

1 - سورة الحج، الآية: 40.

وها هم أولاء كفّار قريش يهمّون بسجن محمّد (ص) أو نفيه ﴿**إِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ**﴾[1]، ويثبتوك بمعنى يسجنونك. ويبيّن لنا القرآن الكريم تهديد فرعون لموسى عليه السلام بالسجن في قوله: ﴿**لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ**﴾[2]، وفي هذه الآية تهديد منه لموسى عليه السلام لو استمرَّ على ما يقول به من ربوبيّة ربّ العالمين مدّعيًا أنّه رسول منه، وهذا دأب الجاهل المعاند إذا انقطع عن الحجّة أخذ في التهديد وتشبّث بالوعيد. واتخاذ إله غيره كناية عن القول بربوبيّة ربّ العالمين الذي يدعو إليه موسى وإنّما لم يذكره صونًا للسانه عن التفوّه باسمه، ولم يعبأ بسائر الآلهة التي كانوا يعبدونها استكباراً وعلوًّا، وكأنّ السجن كان جزاء المعرضين عنه المنكرين لألوهيّته. والظاهر أن اللاّم في المسجونين للعهد، والمعنى: لو دمت على ما تقول لأجعلنّك في زمرة الّذين في سجني على ما تعلم من سوء حالهم وشدة عذابهم.[3]

● **ثانيًا: سياسة المستكبرين المعاصرين في السجن والاعتقال:**

أمّا بالنسبة إلى ورثة سياسات المستكبرين كقريش وفرعون من المعاصرين والحاليّين، أي قوى الاستكبار الّذين يترأسها الشيطان الأكبر

1 - سورة الأنفال، الآية: 30.

2 - سورة الشعراء، الآية: 29.

3 - الطباطبائي، تفسير الميزان، ج15، ص272.

المتمثّـل في الولايات المتّحدة الأمريكيّـة، فتاريخه ممتلئ بالتعذيب في السجون التي أقامتها على دماء وأشلاء المسلمين، ولا حاجة لذكر الذريعة المعتـادة، إذْ إنّها أصبحت من البديهيات، كما أنّنا لا يمكننا أن ننسى ربيبة أمريكا في الشرق الأوسـط أي دولة الاحتلال الصهيونيّ وتاريخها الأسود من الاعتقالات بحقّ الشـعب الفلسطينيّ والشعب اللّبنانيّ حين تواجدها في الجنـوب اللّبنـانيّ، وفيما يـلي نعرض بعض النـماذج المختصرة عن السجون وألوان التعذيب الذي يتعرّض له السّجناء داخلها.

أوّلًا: سجن أبو غريب (العراق)

كان مبنـى سـجن أبو غريب موجـودًا في عهـد صـدّام، إلّا أنّ القوّات الأمريكيّة اسـتولت عليه بعد اجتياحهـا للعراق عام 2003، ومن هنا بدأت المأساة التي عانى منها جميع من زار ذلك السجن من العراقيّين، وبعد عدّة سنوات ظهرت «فضيحة أبو غريب» التي تشمل صورًا للتعذيب الأمريكيّ المُمارس على السّجناء، مما اضطرّ قوّات الاحتلال إلى إغلاقه عام 2006. ما تمّ عرضه من خلال الصور من مشـاهد تعذيب مروّعة تمثّلت في شتّى صنـوف الإيذاء الجسـديّ والنفسيّ، من الصعـق بالكهرباء، إلى مهاجمة السّـجناء وهم مقيّدون بواسـطة الكلاب، وكذلك تكديس السّـجناء فوق بعضهـم البعض وهم عـراة، وإجبارهم على أوضاع جنسـيّة مخلّة، وغير ذلـك من أسـاليب؛ تؤكّد تجـرّد أمريكا من أي معيار أخلاقـيّ، بل وحتّى من المعايير الإنسانيّة التي وضعتها بنفسها من خلال المنظّمات الحقوقيّة والإنسانيّة الأمميّة.

ثانيًا: معتقل غوانتانامو:

يقع هذا المعتقل في أقصى جنوب شرق كوبا، على أراضٍ ابتاعتها أمريكا من كوبا منذ زمن، وتموضع هذا المعتقل خارج الأراضي الأمريكيّة يجعله متفلّتًا من أي قوانين أو قيود قانونيّة. ضمّ هذا المعتقل مئات الأشخاص الّذين تصنّفهم أمريكا ب»الإرهابيّين» من شتّى أنحاء العالم، أمّا بالنسبة إلى الاعتداءات والانتهاكات في هذا السجن، فأوّلًا وقبل أي شيء، لا بدّ من ذكر أنّ المعتقلين فيه لا محاكمة لهم، بل هم معتقلون إلى أجلٍ غير مسمّى، أو إلى حين تغيّر مزاج الرجل الأبيض بانتظار أن يقرّر الإفراج عنهم.

شكّلت شهادات المُفرَج عنهم من غوانتانامو مادّةً دسمة للإعلام العالميّ، سنسلّط الضوء على بعضٍ منها فيما يلي:

المُعتَقَل اليمنيّ منصور أحمد سعد الضيفيّ[1] (الذي احتجزته الولايات المتحدة مدة 15 عام في معتقل غوانتانامو بسبب خطأ في تحديد الهوية):

صرّح المُعتَقَل اليمني لوكالة الأناضول بما يلي: «كان التمييز والكراهية من أخّف الجرائم في غوانتانامو. تعرّض السجناء للسّحل في الممرّات بعد تعرّضهم للتّعذيب وهم ملطّخون بالدّماء. لم يكترث أحد لقتلنا. قُتِلَ العشرات خلال الاستجواب ولم يصدر أحد أي صوت.» ولفت إلى زيادة جرعة التعذيب التي يتعرّض لها السجناء باستمرار، مضيفًا: «بجانب

1 - انظر: نشابة، عمر، أميركا تنزع صفة الإنسانية عن أشخاص معتقلين: معتقل غوانتانامو لم/لن يغلق أبوابه، جريدة الأخبار اللبنانية، عدد السبت 23 أيلول 2023.

الحـرّاس المشرفين على التّعذيب كان هناك مختصُّون نفسـيّون، يقومون بتدوين ردود أفعال السّـجناء أثناء تعرّضهم للتّعذيب ويقترحون أسـاليب تعذيـب جديـدة». ولفـت إلى أنّ الصّحـة العقليّة والجسـديّة للمعتقلين تدهورت بسـبب التّعذيب. وتابع: «التعذيـب الممنهج كان يُمارس طوال اليوم ولا يقتصر فقط على غرف الاستجواب. الجنود كانوا يقرعون أبواب المهاجع خلال النهار، وكان الحرّاس يقومون بالدوس على القرآن الكريم خلال جمع السّجناء ليروا ردود الأفعال التي ستصدر عنهم».[1]

المُعتَقَل الباكستانيّ مجيد خان:

جـاء في تقريـرٍ بثّته قنـاة «DW» الألمانيّـة: «روى مجيد خـان أنّه عُلّقَ بسلاسـلٍ على مدى أيّامٍ متتاليةٍ عاريًا ومن دون طعام في زنزاناتٍ من دون نوافذ. وتحدّث عن عملياتٍ استجواب وحشيّة مع وضعه وهو ملثّم الوجه في مغطسٍ يحوي مياهًا مثلّجةٍ مع إبقاء رأسه تحت الماء إلى حين يتكلم. وكان يجـد نفسـه في حالة هذيان بعد حرمانه من النـوم لعدّة ليالٍ متتاليةٍ. كما وأعلى الرغم من على تلقّي الغذاء والماء عبر فتحة الشرج من خلال أنبـوب عندمـا أضرب عن الطّعام وعندما أصيب بالجفـاف، ما ترك ندوبًا دائمةً، متّهمًا أطبّاء سي أي إيه باغتصابه. «[2]

1 - معتقل يمني يروي للأناضول أهوال سجن «غوانتانامو» (aa.com.tr)

2 - معتقل في غوانتانامو يكشف «فظاعات تعذيب» وكالة سي آي إيه – 30/10/DW – 2021

ثالثًا: مصطفى الديراني والسجن السرّي 1391 (فلسطين المحتلّة):

لم تكتفِ سلطات الاحتلال بنشر معتقلاتها وسجونها على كامل الأراضي الفلسطينيّة على نحوٍ علنيٍّ، بل لجأت إلى إنشاء السجون السريّة بعيدًا عن أعين المنظّمات الحقوقيّة الدوليّة، وهذا السجن واحدٌ من تلك السجون السريّة. وفي تحقيق أجرته قناة الجزيرة كاشفةً عن بعض من ألوان العنف والتنكيل المُمارَس في ذلك السجن، نشرت القناة فيلمًا وثائقيًّا يلقي الضّوء على خفايا المُعتَقَل. جاء في التّحقيق: « تعرّض في المُعتَقَل المسؤول الأمنيّ السّابق في حركة أمل اللّبنانيّة مصطفى الديرانيّ لاعتداءات جنسيّة من قبل المحقّق "دورون زهافي"، وقام الديرانيّ برفع قضية على المعتدي.»[1]

يشكّل هذا المُعتَقَل لمحة بسيطة عن الاعتداءات الإسرائيليّة على الأسرى الفلسطينيّين المُحتَجَزين في مُعتقلات الاحتلال والّذين يبلغ عددهم حاليًا حوالي 6000 أسير، ومن أبرز أنواع التنكيل:

- الضرب
- السجن الانفرادي
- الحرمان من النوم
- التحرّش الجسديّ والجنسيّ

1 - "السجن السري 1391".. قصص من داخل غوانتانامو إسرائيل | سياسة واقتصاد | الجزيرة الوثائقية (aljazeera.net)

رابعًا: مُعتَقَل الخيام (لبنان):

أظهـرت وثائق سريّـة لجهاز الأمـن العام «الشـاباك» ارتـكاب الجيش الإسرائيليّ فظائع في تعذيـب آلاف المعتقلين اللبنانيّين في معتقل الخيام الـذي أقامـه الجيـش الإسرائيليّ بالتعاون مـع جيش لبنـان الجنوبيّ عام 1985، والـذي تحـرر الأسرى منه بيـد أهل الجنوب في أيـار العام 2000 بعد الانسـحاب الإسرائيليّ من الأراضي اللبنانيّة. ووفقًا لوثائق الشـاباك، فإنّه تمّ احتجاز ما بين 250 و300 أسـيرٍ على نحوٍ دائمٍ في معتقل الخيام، كانـوا ينتمون إلى أحـزاب وحركات لبنانيّة وفلسـطينيّة. كما أظهرت تلك الوثائق أنّ «الشـاباك» الذي أشرف على إدارة سـجن الخيـام بالتّعاون مع الجيش الإسرائيليّ خلال احتلاله جنوب لبنان، اعتمد الكثير من أسـاليب التّعذيـب، أبرزها الصعقـات الكهربائيّة ومنـع النوم والعـلاج والتجويع لفـترات طويلة للكثير من اللبنانيّين الّذين اعتُقلـوا واحتُجزوا من دون أي إجراءات قانونيّة.[1]

1 - المسـؤولون عنها لا يزالون طلقاء.. الشـاباك يقر بوسـائل تعذيب قاسـية بمعتقل الخيام بلبنان | أخبار سياسة | الجزيرة نت (aljazeera.net)

الفصل الخامس:

الاستكبارُ العالميّ والعسكرُ والاقتصادُ

المبحث الأوّل:
السيطرة الاقتصاديّة والماليّة

● **أوّلًا: المستكبرون والسيطرة على الاقتصاد والثروة الماليّة:**

تعدُّ الأموال والقوّة الاقتصاديّة واحدة من أهمّ عوامل سيطرة الطّواغيت، إذ إنّهم يستخدمونها في سبيل تحصين أركان حكمهم وتثبيتها، من خلال إغراء الشعوب والأقوام بغية اتّباعهم لهم، ومن جهة أخرى تجويع الشعوب المناهضة لهم وفرض الحصار الاقتصاديّ عليهم، وهذا فرعون حينما قوبِلَ بدعوة موسى، عليه السلام، وشهر بالتهديد، ذكّر قومه بأنّه مالك أمرهم، وقوتهم بين يديه، بما أنّه ملك مصر والأنهار تجري من تحته، ﴿**وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ**﴾[1]، وهذا بمثابة تحذير وتهديد مبطّن لقومه، بمعنى أنّه لو فكّرتم باتّباع موسى، لقطعت عليكم رزقكم ومنعت عنكم القوت والأموال التي أملكها.

والآليّة الاقتصاديّة الأخرى التي يستخدمها الطّغاة، هي الرِّشوة ودفع الأموال في سبيل تحقيق أهدافهم، وهذا ما يبدو جليًّا في استدعاء فرعون للسّحرة ليهزموا موسى، وإعطائهم الوعود بالمردود الماديّ والجوائز الماليّة؛ أي الأجر، وهذا ما ورد في سورة الشعراء، حيث قال تعالى: ﴿**فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ**

1 - سورة الزخرف، الآية: 51.

الْغَالِبِينَ (41) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾[1].

ولنا نموذج في قصة قارون الذي صرّح القرآن الكريم باستكباره في قوله تعالى: ﴿**وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ**﴾[2] في القرآن الكريم نموذجٌ آخر على الارتباط بين أصحاب رؤوس الأموال والاستكبار، حيث أشرنا سابقًا إلى أنّ قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم أي فطلب العتوّ على قومه بغير الحقّ، فآتاه اللّه الكنوز والثروات ليجعلها بلاءً عليه، إذ آثر قارون الحياة الدنيا وما له فيها من الكنوز على الآخرة فخسف اللّه به وبداره الأرض ليجعله عبرةً لأولي الألباب. قال تعالى في قارون: ﴿**إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ**﴾[3].

● ثانيًا: عناصر قوة الهيمنة الاقتصاديّة الأمريكيّة على العالم:

هـذه الآليّات الاقتصاديّـة القديمة الجديـدة، لا تزال واقعـةً في عصرنا الحاليّ، إذْ تشـهد البشريّة الهيمنـة الاقتصاديّة الأمريكيّة على العالم، ومن أبرز مظاهر هـذه الهيمنة، هيمنة العملة الأمريكيّة؛ أي الدولار على أغلب

1 - سورة الشعراء، الآيتان: 41-42.

2 - سورة العنكبوت، الآية: 39.

3 - سورة القصص، الآية: 76.

المعامـلات التجاريّة العالميّة، وأوّلها وأهمّها النفـط. فقد أصبح الدولار أوّل عملـة احتياط وصرف في العالم دون منـازع، عندما وافقت الولايات المتّحدة بين عاميّ 1946 و1971 على استبدالها بالذهب بسعر ثابت قدره 35 دولارًا للأونصـة، لذلك تهافتت البنوك المركزيّة على الدولار من أجل تكويـن احتياطيَّاتها، خاصّـةً أنّ ودائعه كانت مسـتقرّة مثل الذهب إضافةً إلى سـهولة إدارتها، ومن ثَمَّ بدا أنّ الأميركيّين ينتجون ذهبًا عندما يطبعون بعـض الـدولارات، ومنذ عام 1973 الذي تميّز بارتفاع شـديد في أسـعار النفـط (المادة الخام التي تصدر فواتيرها بالدولار فقط)، ظهرت مشـكلة الـ «بترودولار»، عندما أصبحت المبالغ الهائلة التي تنتجها أسواق الطّاقة تُستَثمر كأولويّة في الأسواق الأميركيّة، ما وفّر ميزة نسبيّة لاقتصاد الولايات المتّحدة.[1]

ولنفهـم عوامل الهيمنـة الاقتصاديّة الأمريكيّة على العـالم، لا بدّ لنا من تسـليط الضوء على عوامـل قوّة الاقتصـاد الأمريكي وكيـف يمكّنها من السيطرة الاقتصاديّة العالميّة:

أوّلًا: الإنتاج:

يتميّز الإنتاج الزراعيّ والصناعيّ الأمريكيّ، بضخامته، وتنوّعه، وجودته، نتيجة اسـتخدامها للطرق والتقنيّات الحديثة, ووفرة البنى التحتيّة المؤهّلة

1 - كيف بدأت هيمنة الدولار على الأسـواق العالمية وهـل يمكن إنهاؤها؟ | اقتصاد | الجزيرة نت (aljazeera.net)

والمناسبة لمثل ذلك النوع من الإنتاج، ممّا يمكّنها من التحكم بالعمليّات التجاريّة العالميّة، وبسط سيطرتها على الأسواق وكبرى الشركات التجاريّة.

ثانيًا: الاستيراد والتصدير:

تُعـدُّ الولايات المتّحـدة الأمريكيّة من أكبر المسـتوردين للمواد الأوليّة، خصوصًا من الدول «الناميّة»، وأكبر مصدّر للمواد الغذائيّة والأسلحة، ممّا يعطيها فرصة التحكّم بالدول المصدّرة للمواد الأوّليّة، بالإضافة إلى الدول المستوردة للمواد الغذائيّة والأسلحة من خلال احتكار الإنتاج والتسويق.

ثالثًا: البورصة:

تعتمد البورصة العالميّة على الدولار الأمريكيّ، حيث إنّ أي تهديد يطرأ عـلى الدولار الأمريكيّ، لا بدّ من أن يشـكّل تهديدًا مباشرًا على الاقتصاد العالمـيّ، بفعل نشـوء أزمـةً اقتصاديّةً من شـأنها أن تلقـي بظلالها على اقتصادات الدول المنخرطة في سوق البورصة العالميّة.

- **ثالثًا: آليات أمريكا في الهيمنة الاقتصادية على العالم:**

تعمـل أمريـكا في سياسـاتها الاقتصاديّـة في اتّجاهين، وهـما الترهيب والترغيـب. والترهيب يعني فرض العقوبات الماليّة على الدول المناهضة لها، والترغيب يعني تقديم المساعدات الماليّة والعمل على ازدهار الدول التي تخضع لسـلطتها السياسيّة. ومن أهمّ نماذج سياسة الترهيب المتّبعة، حالـة الجمهوريّة الإسـلاميّة الإيرانيّة، حيث سـارعت الولايات المتّحدة

الأمريكيّة إلى فرض عقوباتٍ اقتصاديّةٍ عليها بعد انتصار الثورة الإسلاميّة عام 1979، لما يشكّله هذا النظام الإسلاميّ الجديد من تهديدٍ على مصالح أمريكا في المنطقة. ففي 4 آب/أغسطس 1996 وقّع الرئيس الأمريكي بيل كلينتون قانون العقوبات على ليبيا وإيران، المعروف بـ «داماتو» أو «ILSA» الذي أقرّه الكونغرس الأمريكيّ بناءً على مشروع قانون قدّمه السيناتور الجمهوريّ المتطرّف الفوتسي داماتو، بحجّة تجفيف مصادر دعم «الإرهاب»، بقيوده الاستثماريّة المتمثّلة بحرمان الشركات المتعاملة مع إيران من دخول السوق الأمريكيّة[1]، كذلك مسّت العقوبات قطاع النفط الذي أدّى إلى تدهور كبير في الإنتاج وانخفاض في التصدير، إذ مُنعت الشركات النفطيّة الأمريكيّة من الاستثمار في قطاع النفط الإيرانيّ وكذلك في تسويقه، لمنع تطوير برنامجها النوويّ، فتراجعت صادراتها إلى أقلَّ من مليون برميل يومياً سنة 2013 بعد أن تجاوزت 2.2 مليون برميل يوميًّا سنة 2011؛ وهذا يعني حرمانها إيرادات تقدّر بنحو 40 مليار دولار سنة 2012 بحسب وكالة الطّاقة الدوليّة.[2]

وبعد أن تبيّن لنا مقوّمات الهيمنة الأمريكيّة على الاقتصاد العالمي، من الجدير بنا أن نلقي نظرة على كيفيّة استخدام أمريكا لتلك الهيمنة، من خلال منظمات ومؤسسات كثيرة، من أهمها:

---

1 - محمود جديد، العقوبات الاقتصادية الدولية ومنعكساتها على عملية التنمية: دراسة مقارنة مع إشارة خاصة لسورية، ص 110.

2 - مصطفى اللباد، العقوبات المفروضة على إيران، <https://bit.ly/2TW4vO0>.

أوّلًا: الأمم المتّحدة:

وهي المنظّمة التي تُعنى ظاهريًّا بتحقيق الأمن والسلام في العالم، ونشر التنمية والثقافة، إلّا أنّها واقعيًّا تُعدُّ من مظاهر الهيمنة الاقتصاديّة، حيث إنّ لمجلس الأمن التابع للأمم المتّحدة، صلاحيات جمّة، منها: فرض العقوبات الاقتصاديّة على الدول التي تسلك منهجًا لا يصبّ في مصلحة الدول دائمة العضويّة وعلى رأسها أمريكا، من خلال فرض حظر شامل للتجارة والاستثمارات، وتجميد الأصول وغيرها من الآليّات المتّبعة، كما حصل مع إيران، وكذلك حصل مع العراق في التسعينات وغيرهما من الدول الكثيرة.

ثانيًا: صندوق النقد الدولي:

وهي منظّمة أمميّة، من شأنها تقديم يد العون للبلدان التي تعاني من أزمات اقتصاديّة وماليّة، إلّا أنّ هذه اليد الممتدّة لا تخلو من شروطٍ وقيودٍ تفرضها على الدول المحتاجة، ومن أهمّها السلوك السياسيّ والعسكريّ الذي يتطابق مع أهداف القوى العظمى الرأسماليّة.

المبحث الثاني:
السيطرةُ الأمنيّة والعسكريّة

● **أوّلًا: المستكبرون وأجهزة السيطرة الأمنيّة والعسكريّة:**

بعد أن تحدّثنا عن الركن الأوّل من أركان تثبيت حكم المستكبرين، لا بدّ لنا من الانتقال إلى الركن الآخر الذي يركن إليه الطّغاة لأجل الغاية نفسها، أي تحصين عرشهم. تكمن الركيزة الثانيّة في السيطرة الأمنيّة والعسكريّة التي تمثّل العمود الصلب الذي يشدد به الطّاغية مفاصل حكمه. نعم. يُعدُّ الجيش ركيزةً أساسيّة لأي حكم، إذ إنّه يؤمّن مصالح البلاد السياسيّة من خلال القوّة العسكريّة، إلّا أنّ الطّغاة يشعرون بحاجة ملحّة أكثر من غيرها لامتلاك جيشٍ جرّارٍ ذي قوّة وعددٍ وترسانةٍ عسكريّةٍ متماسكة؛ لأنّ الطّغاة دائمًا يشعرون بالتهديد الوجوديّ، نتيجة ظلمهم الذي يولّد الغضب والثّورة في نفوس الشعوب المظلومة.

وفي هذا السياق من الجدير بنا أن نقف على ترسانة فرعون وجيشه وكيفيّة استخدامه لهذه القوّة في ومواجهة موسى عليه السلام.

أوّلًا: المخابرات:

كان لفرعون جهاز مخابراتٍ ممتدّ، يراقب ويدقّق في تحرّكات الشعب ويستطلع أي خطرٍ أو محاولة تمرّد ممكنة الحصول، وهذه المهمّات الاستخباريّة يمكننا استظهارها من خلال سياق الآيات القرآنيّة، حيث جاء

في قصّة أمّ موسى عليه السلام: ﴿**وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ**﴾[1]، إذ إنّ موسى قد وُلِدَ في عامٍ كان فيه فرعون يقتل الأولاد، وكان له جواسيس ومخابرات تطلعه على أمر كلّ امرأةٍ حامل، فأوحى الله ،تعالى، إلى أمّ موسى أن أرضعيه ما دمتِ لم تخافي عليه من جواسيس فرعون أن يعلموا به، فإن خفتِ فألقه في اليمّ، اي النهر، وهنا النّيل.

أمّا القصّة الأخرى التي تبرز قوّة فرعون الاستخباراتيّة؛ فهي خوف موسى، عليه السلام، وترقّبه، بعد أن قتل واحدًا من قوم فرعون، حيث جاء في الآية 18 من سورة القصص: (فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ)، وخوفه هذا نابعٌ من انتشـار المخابرات الفرعونيّة في المدينة، وحذره من أن يعلموا بوجوده ويصل الخبر إلى فرعون الذي سيمارس أنواعًا من العذاب والتنكيل عليه.

ثانيًا: الجيش:

تعدّدت الآيات القرآنيّة التي تتحدّث عن جنود فرعون الّذين استخدمهم في ملاحقة بني إسرائيل بعد خروجهم سرًّا من مصر حيث جاء في سورة الشعراء: ﴿**وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ * فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ * وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ * وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ**﴾[2]، ويمكننا أن نستشعر من خلال هذه

1 - سورة القصص، الآية: 7.

2 - سورة الشعراء، الآيات: 52-56.

الآيات مدى قوّة جيش فرعون ومتانته وتنظيمه، إذ إنّه جمع جيشه ونظّمه تنظيمًا سريعاً ليتّبعوا موسى وقومه، كما يمكننا ملاحظة عددهم الكبير من خلال توصيف فرعون لقوم موسى بالشرذمة القليلين، إذْ إنّه وصفهم بالقلّة مقارنةً بتعداد جيشه الجرّار.

وثمة آيات قرآنية عدّة تدلّ على أنّ فرعون كان يستخدم جيشه درعًا حصينة تمكنه من الصدّ عن الحقّ، منها:

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا﴾[1].

ما جاء في سورة الذاريات، حيث قال اللّه عزّ اسمه: ﴿وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ * فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾[2]، والمُراد من تلك الآيات، أنّ فرعون، وبعد بيان الحجج الباهرة من الآيات المعجزات، اختار الصدّ عن الحقّ والجحود، وذلك الاستكبار والجحود تمكّن منهما باستخدام جيشه. والآية الأخيرة تُعبرُّ عن السنن الإلهيّة في الظَّالمين، وحتميّة هلاكهم، على الرغم من قوّتهم الماديّة والعسكريّة.

ومن الآيات القرآنية التي تدلّ على نسبة الاستكبار إلى جيش فرعون نفسه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ (38) وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ

1 - سورة يونس، الآية: 90.

2 - سورة الذاريات، الآيات: 38-40

وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ (39) فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالمين (40)﴾[1].

● **ثانيًا: أمريكا وقدراتها الاستخباراتيَّة والعسكريَّة للهيمنة:**

أمّـا في واقعنا الحاليّ، فـلا تبرح القوى العظمى -وعلى رأسـها أمريكا- مقتدية بأسلافها الطّغاة التاريخيّين، فتتّبع سيرتهم، وتسلك منهجهم، الذي يؤمّن نفس الغاية وذات الهدف، وهو إكمال مسـيرة الظلم والكفر الممتدّة عبر التاريخ.

أجهزة الأمن والاستخبارات:

تعمـل أمريـكا على مراقبة جميـع ما يدور في العـالم ورصده من خلال أدواتها وأجهزتها الاسـتخباراتيّة المنتشرة في شـتّى أصقاع البسيطة، وفيما يلي لمحة سريعة على هذه الأجهزة المتعدّدة:

■ مكتـب مدير المخابرات الوطنيّة (ODNA)، الذي يعمل على تنسـيق عمليّة جمع المعلومات الاسـتخباريّة وتبادلها بين وكالات الاستخبارات الأمريكيّة.

■ وكالة المخابرات المركزيّة (CIA)، وتعدّ هذه الوكالة هي الأكثر شهرة والمعروفة بالتجسّس على الحكومات الأجنبيّة، والقيام بعمليات سريّة بما في ذلك تحويل الأموال إلى جماعـات المعارضة في بلدان أخرى للتّأثير

1 - سـورة القصص، الآيات: 38-40.

في الانتخابات، أو الإطاحة ببعض القادة الأجانب.

■ وكالـة الأمـن القوميّ (NCA)، ويتركّـز عمل هذه الوكالـة في مراقبة وجمـع ومعالجة الاتّصـالات والمعلومـات الإلكترونيّـة الأخرى، وفك الرمـوز السريّة. كما أنّها تحمي أنظمة المعلومات الأمريكيّة من الاختراق الخارجي.

■ وكالة استخبارات الدّفاع (DIA)، وهي وكالة التّجسّس الكبرى التّابعة لـوزارة الدّفاع الأمريكيّة (البنتاغون)، وهي الكيان الرئيسيّ المسـؤول عن جمع وتحليـل المعلومات الاسـتخباراتيّة عن الجيـوش الأجنبيّة، بدعم مـن مكاتب المخابرات في جميع الفـروع الأخرى في الجيش الأمريكي. وتشـارك وزارة الدفـاع الأمريكيّة هـذه المعلومات مع القادة العسـكريّين وواضعـي السّياسـات الدّفاعيّة من أجـل "منع الحـروب والانتصار فيها بشكل حاسم عند وقوعها".

■ مكتـب التحقيقـات الفيـدراليّ (FBI)، هـذا المكتـب الـذي يتمتّع بصلاحيات تطبيق القانون والقيام بالعمل الاستخباراتي. ويهدف المكتب إلى حمايـة الولايات المتّحدة مـن "الإرهاب" والهجـمات الإلكترونيّة، وعمليات الاستخبارات الأجنبيّة والتجسّس.[1]

هذه لمحة بسـيطة عن تنوّع وتعدّد الأدوات الاستخباراتيّة الأمريكيّة التي تمكّنها من بسط سيطرتها على الدول والتحكّم بها بشكلٍ خفيٍّ ومبطّن.

---

1 - ليسـت «سي آي إيه» وحدهـا: تعرف على أجهزة الاسـتخبارات الأمريكية الـ 17 - BBC News عربي

القوة العسكريّة:

وبالنظر إلى القوّة العسكريّة وترسانة الجيش الأمريكيّ، لن نتطرّق إلى إحصاء عدد وعتاد الجيش الأمريكيّ داخل حدود الولايات المتّحدة، إنّما ما يهمّنا في الأمر هو انتشار هذه القوّات المسلّحة في بلدان العالم، إذْ تنتشر في 800 قاعدة عسكرية و177 دولة تقريبًا، تتراوح أعدادها في الأفراد كما في مولدفيا، وأكثر من 40 ألف مقاتل في اليابان، وما يزيد على عشرين ألفًا في كوريا الجنوبية، من أجل تحقيق الأهداف التوسّعيّة والاستعماريّة الجديدة (Neocolonialsm).

اتّخذت الولايات المتّحدة من عدة عناوين ذرائع لتطبيق سياساتها التوسعيّة في العالم:

حماية الدول من أخطار دول أخرى، كما في تخويف بعض دول الخليج من إيران التي تريد حسب ادّعائهم زعزعة استقرار المنطقة، والتدخل في الشؤون الداخليّة للدول العربيّة، فهناك قواعد أمريكية في كلٍّ من: (البحرين، الكويت، الإمارات، السعودية، قطر، الأردن...).

مكافحة "الإرهاب"، هذا المصطلح الذي ابتدعته أمريكا في سبيل زرع قواعدها العسكريّة في العالم، وإقناعنا أنّ هذه القوّات العسكريّة وُضعَت من أجل حمايتنا من "الإرهاب"، كما في العراق وسوريا.

التعاون العسكري وتدريب الجيوش لإعادة بناء الدولة، فتمتلك امريكا حجّة أخرى لنشر قوّاتها في بلادنا، وهي حجّة تدريب الجيوش المحليّة كما في أفغانستان سابقًا والعراق. فيا لها من أمٍّ حنونة تعتني بشؤون حمايتنا وتأهيلنا!

هـذه القـوى العسـكريّة المنتشرة والمزروعـة في مناطق العـالم، تعمل على السـيطرة عـلى البلاد، من خلال الترهيب العسـكريّ الذي تمارسـه على السـلطات الحاكمة في تلك الدول، وتسـدّ كذلك بـاب أي محاولةٍ لمناهضة المارد الأمريكيّ بالتهديد بتلك الترسانة العسكريّة الجويّة والبريّة والبحريّة. لكن كما نعلم، لا تبديل لسنّة اللّه، فكما كان مصير جنود فرعون الغرق والهلاك، فإنّ مصير الجيـوش الأمريكيّة لا محالة الدمّار والخزي، وهذه السـنن الإلهيّة غالبًـا ما تتحقّق على يد قوم يحبّهـم ويحبّونه، وهذا مـا نراه جليًّا في معركـة البحر الأحمر التي تخوضها جماعـة أنصار اللّه، الّذين كبّدوا المارد الأمريكيّ خسـائر فادحة، من خلال مهاجمتهم للسفن الأمريكيّة التجاريّة والعسـكريّة على حدٍّ سـواء، فيما تقـف الإمبراطوريّة الأمريكيّـة عاجزة عـن صدّ الهجوم في البحر الأحمـر، مكبّلة اليدين أمام القوى الرحمانيّة التي تُقضُّ مضاجعها.

المبحث الثالث:

الترابطُ بين السيطرة الاقتصاديّة والعسكريّة

تمهيد:

كنا قد ألقينا نظرةً في المبحثين السابقين على السيطرة الاقتصاديّة والسيطرة العسكريّة للقوى العظمى على دول العالم، والآن حان الوقت لتبيين العلاقة الوطيدة التي تربط العسكر بالاقتصاد.

تُعدُّ العلاقة بين الجانب العسكريّ والجانب الاقتصاديّ علاقة صلبة ومتماسكة إلى أبعد الحدود، إذ إنّ كلّ واحد منهما يخدم الآخر، فالآمال والأحلام التوسّعيّة للأنظمة الرأسماليّة تدعوها لاستخدام العسكر في سبيل السيطرة على المقدّرات الماليّة والثروات الطبيعيّة التي يذخر بها العالم، خصوصًا في القارّة الأفريقيّة وشبه الجزيرة العربيّة. وعلى الجانب الآخر، وبفعل الحروب والصراعات التي تفتعلها تلك القوى وتنمّيها، تحظى هذه الكيانات الاستعماريّة بسوقٍ ضخمة لتصريف صناعاتها العسكريّة والأمنيّة، كبيع الأسلحة والذخائر، بالإضافة إلى التجارة التكنولوجيّة، أي بيع الخطط والتطبيقات الإلكترونيّة الاستخباراتيّة والمعلوماتيّة. والنموذجان اللّذان يوضّحان الهيمنة الاقتصاديّة والعسكريّة للقوى الغربيّة على العالم، هما نموذجا فرنسا والولايات المتّحدة الامريكيّة.

- **أوّلًا: الاستعمار الفرنسيّ الجديد في أفريقيا:**

لم تنته الهيمنة الفرنسيّة على القارّة الأفريقيّة مع انتهاء الاستعمار الفرنسيّ

المباشر لها، أو بعد «الاستقلال الصوريّ» الذي حظيت به الدول الأفريقيّة، بل إنّ الاستعمار الجديد الذي تمارسه فرنسا على الدول الأفريقيّة يعدُّ أكثر خطورةً بفعل سلاسته وصورته السلميّة أمام العالم والمجتمع الدوليّ. ومن أبرز مظاهر هذا الاستعمار، القواعد العسكريّة الفرنسيّة المنتشرة في الأراضي الأفريقيّة و يبلغ عددها 7 قواعد متفاوتة الحجم في كلّ من تشاد، وأفريقيا الوسطى، والكاميرون، وجيبوتي، وجزر القُمُر، والسنغال، والغابون. تلك القواعد التي بقيت تحظى بوجودٍ فعليٍّ في الأراضي الأفريقيّة بفعل اتفاقيات التعاون العسكريّ مع الدول الأفريقيّة. هذا الوجود العسكريّ الذي يمكّنها من فرض اتّفاقيات اقتصاديّة تربط اقتصادات الدول الأفريقيّة بالاقتصاد الفرنسيّ، وذلك نتيجة للترهيب العسكريّ الذي تمارسه فرنسا عليها من خلال التواجد العسكريّ المتركّز في القارة. هذه الاتّفاقيات التي تهدر الأموال الإفريقيّة، حيث إنّ تلك الدول الأفريقيّة مضطرّة لضخّ 85% من احتياطاتها النقديّة الأجنبيّة في البنك المركزيّ الفرنسيّ، ولا تستطيع الحصول إلّا على 15% منها إذا ما احتاجت إلى ذلك، فتضخّ أفريقيا إذًا 500 مليار دولار سنويًّا في فرنسا[1]. هذا فضلاً عن مقدّرات أفريقيا من اليورانيوم والمعادن التي تسلبها فرنسًا قهرًا من أصحابها الأفريقيّين، إذ إنّ 25% من المفاعلات النوويّة التي تعتمدها فرنسا للتزوّد بالطاقة الكهربائيّة تأتي من المناجم الأفريقيّة

1 - تناقصت مساحة نفوذها.. هل تتحرك الرمال في أفريقيا تحت أقدام فرنسا؟ | سياسة | الجزيرة نت (aljazeera.net)

المتمركزة في النيجر وتشـاد. هذه المصالح الاقتصاديّة تدفع فرنسـا ودون تردّد للتدخّل العسـكريّ في حال شـعرت بخطـرٍ يهدّدها، وهذا ما حصل فيما يسـمّى بـ»عمليّة البرخان»، هـذه العمليّة التي أطلقتها فرنسـا بحجّة دحر «المخرّبين» ومحاربة «الإرهاب». شـارك في هذه العمليّة نحو 4000 جنديّ فرنسيّ، بالتعاون مع الحكومات الأفريقيّة التي تشكّل أدوات وأذرع لفرنسا[1].

● **ثانيًا: السيطرة الأمريكيّة على الخليج الفارسي:**

تُعـدُّ منطقة الخليج الفارسي من أغنـى المناطق النفطيّة في العالم، وهذا ما جعلها محور جذب للولايات المتّحدة الأمريكيّة التي تَعدُّ النفط شريان الحيـاة لنموّها واقتصادها وصناعاتها. هذا العامـل الجاذب جعل أمريكا تعـدّ العدّة وتضع الخطط للتدخّل والتواجد العسـكريّ في هذه المنطقة، فجـاءت حـرب الخليـج الثانية فرصةً لا تعوّض لبسـط أمريكا سـيطرتها العسكريّة على الخليج، بحجّة حمايتها من التهوّر والإجرام الصدّاميّ، أي خطر صدّام حسـين عليها، بعد اجتياحه للكويـت، كما زرعت في عقول حكّام الخليج وهم الخطر الإيرانيّ المحدق، بعد انتصار الثورة الإسـلاميّة في إيران. فأتت الأساطيل العسكريّة الأمريكيّة وحطّت رحالها في أراضي الخليج الفارسي، وجعلت من الأنظمة العربيّة دميً تحرّكها متى ما شاءت وكيفما شـاءت. هذه السياسـات المتّبعة من قبل أمريكا، جعلت الثروات

1 - فرنسا وإفريقيا.. «استعمار» متواصل ونهب مستمر للثروات (trtarabi.com)

الطبيعيّة والاقتصاد المحلّي لشتّى دول الخليج في قبضة يدها، وذلك بفعل الوجود العسكريّ وانتشار القواعد الأمريكيّة العسكريّة على طول البلدان الخليجيّة العربيّة وعرضها، حيث بلغ عدد الجنود الأمريكيّين في الكويت 13000 جندي أمريكيّ يتمركزون في العديد من القواعد العسكريّة، أهمّها: قاعدة عريفجان، وقاعدة علي السالم الجويّة، وقاعدة معسكر الدوحة، وقاعدة بيورينغ. أمّا في قطر فقد بلغ عدد الجنود 13000 جنديّ، ومن أهمّ القواعد التي يتمركزون فيها هي قاعدة العديد، التي تُعدُّ أكبر منشأة عسكريّة أمريكيّة في الشرق الأوسط. وقد بلغ عدد الجنود الأمريكيّين في السعوديّة نحو 10000 جنديّ موزّعين على قاعدتي الإسكان الجويّة والأمير سلطان. أمّا في الإمارات التي تستضيف 5000 عسكريّ أمريكيّ، فقد بلغ عدد القواعد العسكريّة فيها 3، وهي: قاعدة الظَّفرة الجويّة، ميناء جبل عامل، وقاعدة الفجيرة البحريّة[1]. هذا الوجود العسكريّ يشكّل تهديدًا مبطّنًا للأنظمة العربيّة متخفّيًّا بحجّة الحماية وصون الأمن والأمان، ممّا يجعل اقتصاداتها وثرواتها تحت تصرّف الولايات المتّحدة.

شرعت أمريكا في تنفيذ مخطّطاتها وبسط سيطرتها على الخليج من خلال اتّفاقيات تعاون عسكريّ واقتصاديّ، يضفي الشرعيّة على تلك الهيمنة، ويجعلها مكفولة بمقتضى القوانين والأعراف الدوليّة بما يخدم مصالحها، ويؤمّن اقتصادها.

---

1 - القوات الأميركية في الشرق الأوسط.. قواعد وجنود لحماية مصالح واشنطن | الموسوعة | الجزيرة نت (aljazeera.net)

تفرض هذه الاتّفاقيات حجم تبادل تجاريّ هائل بين دول مجلس التعاون الخليجـيّ وأمريكا، فقد بلغ حجم التبادل التجاريّ السـلعيّ بينها نحو 9 مليار دولار عام 2018. أمّا بالنسـبة إلى النفط ومنتجاته، فقد تصدّر قائمة أكثر السـلع المصـدَّرة إلى الولايات المتّحدة بنسـبة 9.71% من إجمالي الصادرات عام 2018، وفي العام 2019 بلغ حجم استيراد النفط الخليجيّ في أمريكا نحو 20000 برميل يوميًّا. وبالانتقال إلى الاستثمارات الخليجيّة في الاقتصـاد الحكوميّ الأمريكيّ، بلـغ 994.269 مليار دولار في فبراير/ شباط 2020.[1]

تجارة السلاح وافتعال الحروب:

وبالنظـر إلى تجارة السـلاح الأمريكيّ، فإنّ افتعـال الأزمات والحروب الإقليميّـة، يؤمّـن لأمريكا سـوق تصريف وبيع أسـلحتها، لـذا فهي تُعدُّ المسـتفيد الأوّل مـن الصراعات والنزاعات العسـكريّة في شـتّى أصقاع العـالم، إذ إنّ الولايـات المتّحـدة تحتلّ المركـز الأوّل عالميًّا في تصدير السـلاح. وهـذا ما يكشـف سـبب محاولاتهـا الدائمـة لإثـارة النُّعَرات والأزمات، فقد تمّ تسـجيل زيادة كبيرة في شراء الأسـلحة في مناطق شرق آسـيا في ظلّ التوتر بين بيكين وعدد من العواصم الآسيويّة كاليابان. وهذا ما يفسّر أيضًا الحرب الهمجيّة التي شنّتها السعوديّة على اليمن و دامت 8

1 - العلاقـات الاقتصاديـة الخليجيـة / الأمريكيـة راسـخة وأمريـكا تسـعى لتقويتها لمصلحتها (araa.sa)

سنوات، استمرّت خلالها السـعوديّة بشراء الأسلحة الأمريكيّة، فاستأثرت السـعوديّة في تلك الفترة على المرتبة الأولى في لائحة مستوردي السلاح على مستوى العالم[1].

1 - سـوق السـلاح العالمي: أمريكا المسـتفيد الأول والأكبر من الحروب والأزمات!! (alkhanadeq.org.lb)

لائحة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

■ ابن سـيده، علي بن إسماعيل، المخصص، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

■ الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، مفردات ألفاظ القرآن، الأميرة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2010م.

■ الآلوسي، محمود بن عبد الله، روح المعاني في تفسـير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415ه.

■ جديد، محمود، العقوبات الاقتصادية الدولية ومنعكساتها على عملية التنمية: دراسة مقارنة مع إشارة خاصة لسورية، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، 2009م.

■ الجندي، أحمد أنور، الوجه الآخر لطه حسين.

■ السـبحاني، جعفـر، الإلهيـات عـلى ضـوء الكتاب والسـنة والعقـل، الدار الإسلامية، بيروت، ط1، 1989م.

■ الشريف الرضي، محمد بن حسـين، نهج البلاغة، شرح محمد عبده، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط1، 1993م.

■ الصدوق، محمد بن علي، معاني الأخبار، تصحيح علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، 1361ه.ش.

■ الطباطبـائي، محمد حسـين، الميـزان في تفسـير القرآن، منشـورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المشرفة.

■ الطبرسي، الفضل بن الحسـن، مجمع البيان في تفسير القرآن، انتشارات ناصر

خسرو، دار المعرفة، طهران، ط1، 1986م.

■ الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق أحمد حبيب قصير، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ط1، 1409ه.

■ محمد الجبري، عبد المتعال، الاستشراق وجه للاستعمار الفكري، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1995م.

■ عجمي، سامر توفيق، التربية بنظرة فلسفية، مركز الأبحاث والدراسات التربوية، دار البلاغة، بيروت، 2015م، المبحث الأول.

■ الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، تعليق علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط4، 1365ه.ش.

■ مرتضى، محمد، الأنثروبولوجيا في سياقها التأسيسي، من التوظيف الاستعماري إلى العسْكرة، الأنثروبولوجية، قراءة تحليلية نقدية في سياقاتها التاريخة ومناهجها ونظرياتها ومبانيها، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، العتبة العباسية المقدسة، النجف الأشرف، 2023م.

■ المشهدي، محمد، تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، تحقيق مجتبى العراقي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، 1407هـ.

■ نشابة، عمر، أميركا تنزع صفة الإنسانية عن أشخاص معتقلين: معتقل غوانتانامو لم/لن يغلق أبوابه، جريدة الأخبار اللبنانية، عدد السبت 23 أيلول 2023.

المواقع الإلكترونيّة:

■ https://middleeasttransparent.com/ar/screams-without-words-how-hamas-weaponized-sexual-violence-on-oct-7/

- https://www.albawaba.com/ar/
- https://www.aljazeera.net/news/20234/12//
- https://arabic.rt.com/middle_east/1533209-
- https://www.dw.com/ar/
- https://www.weeportal-lb.org/ar/
- https://formena.org/ar/
- https://www.mubasher.info/news/42363876--17/
- https://www.swissinfo.ch/ara
- https://ciessm.org/202218/03//
- https://www.aljazeera.net/encyclopedia/20227/8//
- https://www.aa.com.tr/ar/
- https://doc.aljazeera.net/money-and-business/20205/7//
- https://www.dw.com/ar/
- https://www.aljazeera.net/politics/202226/3/
- https://alkhanadeq.org.lb/post.php?id=2481
- https://www.aljazeera.net/ebusiness/20236/4//
- https://caus.org.lb/
- https://www.bbc.com/arabic/world-58129464
- https://www.aljazeera.net/amp/politics/202329/1//
- https://araa.sa/index.php?option=com_content&view=article&id=5686&catid=4471&Itemid=172
- https://www.aljazeera.net/amp/encyclopedia/202426/2/
- https://www.trtarabi.com/issues/

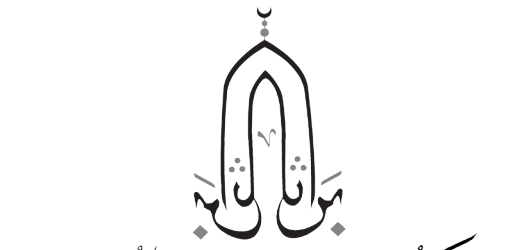

هو مركز بحثي مستقل غير ربحي، مركزه في بيروت وبغداد. ويهدف لفتح المجالات العلمية والاكاديمية الواسعة، أمام الباحثين والمتخصصين؛ للقيام ببحوث تسعى إلى فهم واقع الإنسان والإنسانية، من خلال التركيز على دراسة الميادين الفلسفية، والاجتماعية، والإنسانية المتنوعة، التي تشكّل في مجموعها ذلك الحراك الاجتماعي والانساني الكبير، الحاصل في العالم، وخصوصا في بلادنا العربية والإسلامية؛ ورصد الظواهر والتحديات الفكرية، والاجتماعية، والاقتصادية، والنفسية المختلفة، التي يمكن أن يواجهها الفرد والمجتمع، ومحاولة فهم ومدارسة الأسس الفلسفية والإجتماعية والدينية التأصيلية بموضوعية وجدة، سعيًا للوصول إلى حلول لها؛ من أجل السمو بالإنسان وتقدّمه في أبعاده الإنسانية المختلفة.

عن هذا الكتاب

القرآن ليس كتابًا في التاريخ، أو أدب القصص القصيرة، ليتحدث عن فرعون وقوم عادٍ –مثلًا– وغيرهم من المستكبرين بهدف التأريخ للأحداث وتوثيق الوقائع، أو ليرفّه عن القارئ في أوقات فراغه، قال تعالى: (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ)، (فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)، وظيفة القصص القرآنيّ التفكر واستخلاص الدروس، ومنها فهم طبيعة سياسات المستكبرين لنستفيد منها في حياتنا المعاصرة، لأنّ القرآن حيٌّ لا يموت، فالآية إذا نزلت في الأقوام وماتوا تجري في الباقين كما جرت في الماضين.

هذا الكتاب يبحث عن نماذج من سياسات المستكبرين في ضوء الآيات القرآنيّة، لنفهم أساليب الاستكبار المعاصر –كالذي تمارسه أمريكا وإسرائيل وبريطانيا وغيرهم–، مثل: الإفساد تحت شعار الإصلاح، وفرِّق تسد، وتزوير الحقائق، وإنكار الحقّ، والاستبداد الفكر واحتكار المعرفة، وتسطيح الوعي وتجهيل المجتمعات، وتعزيز الجانب المادي من نمط الحياة، وحياكة المؤامرات، واستخدام العنف والإرهاب، والسيطرة الاقتصاديّة والعكسريّة... إلخ.

- الدراسة لا تعبر بالضرورة عن رأي المركز -

مركز براثا للدراسات والبحوث
بيروت - بغداد

Baratha Center for Studies and Research
www.barathacenter.com
barathacenter@gmail.com
مدير المركز د. محمد مرتضى
009613821638